الادب الهادف والادب الواقعي

بقلم محمود تيمور



المذهب الواقعي في الادب ظاهرة اجتماعية ، له اسبابه التي دعت اليه وله مسوغاته التي حفزت عليه ، وفيه من العناصر الصالحة ما جعل له قيمة كبيرة في تصوير البشرية وفي الاستجابة للحياة .

بيد ان الظواهر الاجتماعية على وجه عام لا يطمئن لها جنب ، ولا يقر لها قرار ، فهي ابدا في دوامة من التحول والتبدل ، تدور عليها احكام الكون والفساد كما يقول السادة الفلسفيون .

هذه الواقعية الادبية ثارت عليها ثائرة الاخلاقيين حين انطلق الادباء تحت رايتها في اساليب صريحة عارية يعرضون شهوات النفس ونزوات الطبع وغوايات السلوك . وضاق بها المثاليون الذين يريدون الادب تمثيلا للانسان في مستوى ملائكي رفيع ، لا كما هو كائن ، بل كما يجب ان يكون . ولم يرض عن الواقعية اصحاب الفكر المترف ، ممن يسأمون التحليل والتعليل والتفصيل ، ويقنعون باللمحات والاشارات واللوامع . وكذلك ابى رواد الاصلاح السياسي والاجتماعي ان يتقبلوا هذه الواقعية بقبول حسن ، اذ هم يريدون الادب على ان يكون ذا اغراض ومقاصد ، ويبتغونه توجيها وتزكية ، فيستعلون به على التفكير الفردي الطليق الى التفكير الاجتماعي الهادف ، حين يتناول قضايا الشعب ، ويعالج مشكلات المجتمع .

على ان المذهب الواقعي في نشوئه وفي قيامه حق ، ولكن الباطل يأتيه من ضعف المزاولين له ، والمتمرسين به ، اذ هم يحاصرونه بقيود مذهبية مفروضة ، وحدود فنية مرسومة ، ومن ثم يكون الجمود ، وفي جمود المذهب قضاء عليه اي قضاء ، بل ان ذلك الجمود هو علة العلل فيما يعرو انظمة الحكم واوضاع الدين وتقاليد المجتمع من تدهور وانهيار .

ان النوابغ والعبقريين من ادباء الواقعية ، لم يتقيدوا بقواعد مذهبية جامدة ، ورسوم فنية مقررة ، وانما علوا بانفسهم عليها حين تصدت لهم عقباتها ، او هم علوا على انفسهم في ارتباطها بهذه القواعد والرسوم والعقبات .

هؤلاء النوابغ والعبقريون خرجوا على المذهب الواقعي في حرفيته ، واتاح لهم نبوغهم وعبقريتهم طلاقة انسانية حية ، فراحوا يمدون المذهب بروح قوية ، ويطوونه على مضمون دسم ، فظل عملهم خالدا لا يختصم في تقديره النقاد ، وان اختصموا في تقدير المذهب الذي ينتمي اليه .

خلود العمل الادبي يتوافر له بروعة التعبير ، او بقوة التصوير ، او بدقة المعالجة والمزاولة ، او بغير هذه المزايا من خصائص العمل الفني ومظاهر جودته . وذلك هو «زولا» ربيب الواقعية الاول ، بل شيخها العظيم ، لم تكن واقعيته سطحية مشوبة بتلك العوامل التي اخملت المذهب الواقعي ، وانما كانت واقعية عميقة في معالجتها الانسانية ، فكتب الخلود لعمله الفني ، على الرغم من خمول المذهب الذي يتسم به .

ليس هذا الحكم مقصورا على الواقعية ، فهو خليق بكل مذهب ادبي ، منطبق عليه ، وحسبنا مثلا عمل « راسين » في الادب الاتباعي او « الكلاسيكي » ، اذ هو لم يستمسك بمنطق العقل الجامد ، مغفلا رفائق العواطف وسبحات الاخيلة ، فبقي ادبه وان لم يبق المذهب الاتباعي ، وكذلك الشأن في امثال « لافونتين » ، فهيهات ان يزول الاعجاب بها والاعزاز لها وان زال ادب الامثال .

المقلدون المذهبيون هم الذين تملكهم القيود والحدود ، وتستهلكهم الرسوم والاوضاع ، فلا يلبث عملهم ان يتقلص ظله حين تتقلص ظلال المذاهب التي فتنوا بها ، وتفانوا فيها ، اذ لم يكن لهم فيما اوتوا من المواهب ما يكفل لفنهم بقاء على وجه الزمان .

تعرضت الواقعية المذهبية لهزات عنيفة ، ودارت حولها الوان من التفسير والتأويل ، وانتهى بها الامر اليوم الى تفصيل وتمييز بين واقعية قديمة وواقعية حديثة ، بينهما مشابهات بقدر ما بينهما من فروق ، بل ان الواقعية الحديثة نفسها تختلف عليها وجهات النظر ، وان هذا الاختلاف هو بمثابة فتح نوافذ على آفاق جديدة في الراي ، جديرة بالالتفات ، تحاول في مجموعها ان تحدد حقيقة انسانية متطورة ، حقيقة غامضة ملتبسة ، هي حقيقة الادب : ما مبلغ صلته بالمجتمع ؟ وما مدى رسالته في الحياة ؟

والواقعية الحديثة في الادب تستند في قيامها وفي اختلاف وجهات النظر حولها الى احداث سياسية ، وثورات اجتماعية ، تمخضت عن نظم جديدة للحكم ، واوضاع مستحدثة في الاقتصاد ، ومفاهيم خاصة للشعوب والجماعات .

لقد تغير روح العصر ، فلا غرو ان يتغير روح المذهب الادبي الذي يحيا فيه ، حتى يلائمه ، فيستطيع التعبير عنه في امانة وصدق ، وفي دقة واحكام .

كانت الامم في العهود الماضية متقاربة في الانظمة والاوضاع ، متشابهة في الاهداف والمفاهيم ، فلم يكن الانقسام فيها على النحو الذي نشهده اليوم فيما نشهد من تنافس وتطاحن وصراع .

نحن في عصرنا الحاضر بازاء انقلابات فكرية تتناول كل الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ومن الشعوب ما يتطرف في هذه الانقلابات ، ومنها ما يجنح الى الاعتدال ، بعض منها يقنع بالترميم والابقاء على القديم ،

وبعض منها يأبى الا الهدم والانتقاض . هذا يؤثر المرونة والملاءمة ، وذلك يمضي في عناد واصرار الى غاية الطريق لا يبالي وعثاء الطريق .

فكيف تستقر الواقعية الحديثة على حال ، وهي في غمرة من هذه القلاقل التي يزخر بها المعترك العالمي ؟ وكيف لا تتخذ هذه الواقعية الحديثة في كل امة صورة نشاطها الفكري وطابع وضعها السياسي والاجتماعي ؟

لا عجب اذن في ان يكون لكل بلد واقعيته الخاصة به ، او مذهبه الواقعي في الادب،وفق ملابساته واحواله، وان تكون هذه الواقعيات المذهبية المتخالفة في مجموعها تعبيرا ادبيا صادقا كل الصدق ، يمثل اروع تمثيل ما تجتازه الانسانية في يومها الحاضر من تطور سياسي واجتماعي بعيد

بيد ان هذه الالوان من الواقعية الحديثة لا يقوم لها وزن في الادب ، الا ان اوتيت من الخصائص الفنية ما يهبها الحيوية والروح ، والا كانت تسجيلا جامدا للافكار التي تجري في كيان المجتمع ، ونقلا تافها للمشاهد التي تتخايل في زحام الحياة .

وقد ابتدع جماعة من النقاد العصريين لبعض الوان تلك الواقعية الحديثة تسميات جديدة ، منهم من يسمونها : الادب الهادف ، ومنهم من يقترح لها اسم : الادب الموجه ، وتارة يقال لها : الادب المجند ، وطورا تسمى : الادب الملتزم . والمعنى المشترك في هذه التسميات جميعا ان يكون العمل الادبي هادفا ذا توجيه ، وان يلتزم الاديب في عمله ما وجه اليه من اهداف ، وان يجند لهذه الاهداف قلمه فيما يكتب من ادب .

لقد اصبحت كلمة « الادب الهادف » ومرادفاتها تعريفا عصريا للواقعية الحديثة في كثير من الشعوب ، فانقسم النقاد على انفسهم في تقدير ذلك الادب ، وان منهم لمن يتساءلون : ماذا تريدون الى الاديب ؟ اتسلبونه حريته في التفكير والتعبير ؟ افانتم تملون عليه ارادة لا تنبثق من نفسه ، ولا تأنس بها روحه ؟ وهل ابيتم الا ان يكون اداة مطواعة تتحرك بلولب ، او ببغاء تردد ما يحكى ؟ واين حظه من الحرية والطلاقة التي لا بد ان يتمتع بها الاديب لكي يتجلى فيما يكتب صدق الاداء وروعة التصوير ؟

والحق ان الادب الهادف لو كان مفهومه على هذا النحو لما عددناه الا ادبا هاتفا كما قال بعض الظرفاء ، وهو بهذا التفسير رجعة بالادب الى الوراء ، ونكسة للفن توردهموارد البوار . ولكن المذاهب الادبية آفتها من يحملون انفسهم عليها ، ممن يعوزهم الفهم ،او يطوح بهم الغلو ، او يأخذهم غرور الادعاء ، فاذا المذاهب تخطط على اقلامهم شائهة الخلق ، منكرة الصورة ، فاقدة الروح . وكذلك شأن الادب الهادف في مذاهب الادب ، حدوا من نطاقه حتى اضر به التحديد ، وحسبوه فرضا لشيء معين يساق اليه الادب الحر ، فضاق به الادباء الاحرار .

لنتامل مليا في معنى الادب ، ولنسأل انفسنا : هل يكون ادب بلا هدف ؟ ومتى كان اديب غير هادف ؟

ان الاهداف هي موضوع الادب ، وهي رسالة الاديب ، وانها لتتعدد وتتجدد ، منها ما هو ظاهر مباشر ، او مستور غير مباشر ، ومنها ما هو رفيع خاص او مبذول عام ، ومنها ما هو في الوعي او اللاوعي ، ومنها ما هو سطحي او عميق ، ومنها ما هو فردي او جماعي .

الاديب الفنان هادف ابدا ، وهو بما يصور من استجابته للحياة ، وبما يمارس من تعمقه في اسرارها وخوافيها ، انما يهدف الى اعلاء ما فيها من حق ، وتزكية ما فيها من خير ، وتجلية ما فيها من جمال .

ان الاديب نصير الانسانية في اوسع معانيها وابعدها عمقا ، منارته التي تضيء له طريقه في الحياة هي القلب البشري في اصالة منازعه ومشاعره ، وهي القيم الانسانية التي انتهى اليها الفكر الاجتماعي في نضجه وفي تساميه .

لا تثريب على الاديب في ان يكون الهدف عنده معالجة مشكلة اجتماعية قائمة ، ولا حرج عليه في ان يكون هدفه معالجة ظاهرة نفسية يستشعرها في ذاته او فيمن حوله ، ولا سلطان لاحد عليه في ان يكون هدفه التعبير عن نزعة قومية تهزه ، فهو في حل من ان يستوحي من روح عصره او من باطن وجدانه ما يشوقه من اهداف .

آفة الادب الهادف ان يكون وليد الفرض والاملاء والالزام، فانه اذا كان فرضا واملاء والزاما جانبه القسط ، وفاته الصدق، واعوزته الحيوية، ومضى في غلوائه يؤدي ما فرض له ، وما املي عليه ، فاذا هو ادب زائف مكذوب به على الحياة ، واذا هو لا يلبث ان يتقلص ويتضاءل حين تخف حدة الضرورات التي كانت علة فرضه واملائه والالزام به .

وكيف يعيش ادب يقوم على المحاباة من جانب ، والسخط من جانب اخر ، اذا حابى كال لما يحابيه فضائل الدنيا جميعا ، واذا سخط فانه يسلب ما يسخط عليه كل ما في الدنيا من فضيلة وفضل ؟ هذا الادب الهادف المرسوم المملى على اصحابه انما هو طعمة يومه الحاضر ، ورهينة وقته العابر ، وهو كأقواس النصر ومعالم الزينة في المواسم والمهرجانات ، ما بين قيامها وانقضاضها الا عشية او ضحاها ، او هو كضجة الهتاف في الركب السائر ، لا تلبث ان يذهب مع الريح صداها .

لقد عمدت بعض الدول في ربع القرن الماضي الى بسط سلطانها على الادب ، ورسمت لادبائها اهدافا يعبرون عنها وفقا لمقتضيات وملابسات ، فتمخضت القرائح تحت وطأة هذه القيود عن ادب اكثره مصنوع ، على ان الاحوال قد تطورت في تلك الدول ، ولم يعد ثمة ما كان من المقتضيات والملابسات ، فخفت وطأة القيود على الادب ، وزالت عنه دواعي الفرض والالزام والاملاء ، وانطلق الادباء يتحدثون عن المنازع الانسانية الشاملة ، ولا يقتصر مدارهم حول مشكلات وقتية يعالجونها ، ومبادىء مفروضة يدعون اليها .

وسواء اكانت الاهداف مفروضة على الكاتب بايحاء

واملاء ، ام كان هو الذي فرضها على نفسه في حرية واختيار ، فانها لا تستحيل ادبا الا اذا اوتيت من المقومات الحيوية ما يرفعها عن مستوى القوالب الجامدة ، والاحكام المقررة ، الى مستوى الفن الانساني الرفيع .

اذا تصفحنا ادب الاهداف في العصور المواضي الفينا منه الفث وغير الغث ، فهو يتباين في القوة والضعف على مقدار صلته بالنفس الانسانية والمجتمع البشري .

وسنضرب مثلين اثنين ، احدهما يمثل الادب الهادف القوي الخالد ، والاخر يمثل الادب الهادف الضعيف الذي لا خلود له .

فاما المثل الاول فهو « ابسن » الكاتب النرويجي ، اذ كان اديبا اجتماعيا هادفا احسن توثيق الصلة بين المشكلة الاجتماعية التي يعالجها والقلب الانساني في نوازعه الثابتة، فسوى من شخصياته نماذج انسانية خالدة ، واما الاخر فهو « بريو » الكاتب الفرنسي الذي اتخذ لادبه هدفا اجتماعيا مرسوما ، وابى الا ان يحرك شخصياته وفق مشيئته ، ويجعل منها بوقا لما يلفظ من قول ، فاذا هي دمى وقوالب سرعان ما ادركها البلى ، ونالت منها تصاريف الزمان .

الف « ابسن » مسرحيته الاجتماعية « بيت الدمية » وهدف بها الى موضوع تحرير المرأة ، والمساواة بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات ، وهو موضوع محدود بوقته، ومتى تم تحرير المرأة على النحو المنشود فان المسرحية تغدو غير ذات موضوع . ولكن عبقرية الكاتب وروعة فنه كفلت للمسرحية البقاء ، واتاحت لها ان تكون صالحة لكل زمان ومكان ، وان كان الموضوع الذي تعالجه موضوعا اجتماعيا مرهونا بفترة من الزمان وناحية من المكان ، ذلك لان المسرحية تتناول مشكلة نفسية اصيلة ، اذ تصور لنا امرأة تمنح نفسها حرية التصرف في مالها دون اذن من الزوج ، فيثور بها زوجها على الرغم من ان تصرفها كان لانقاذه من مرض عضال . ولم تملك الزوجة الا ان تخرج عن الطاعة وتهجر البيت الى غير عود . ففي المسرحية مشكلتان : مشكلة اجتماعية ظاهرة هي تحرير المرأة ، ومشكلة نفسية خفية هي كرامة المرأة ، والمشكلة الاولى تزول اذا منحت المرأة حقها من الحرية ، واما كرامة المرأة فانها مشكلة باقية ما بقي على ظهر الارض زوجان ، فان المرأة تحاول ابدا ان تسيطر على رجلها ، وان تخضعه لحكمها ، فينشب ذلك الصراع الدائب بينهما لا يفتر ، ويظل ظاهرة من الظواهر الانسانية لا تزول ولا تحول ، واذن فقد استطاع هذا الهدف الفريزي النفسي ان يؤازر الهدف الوقتي الاجتماعي في مسرحية « بيت الدمية » ، وان يجعل من هذه المسرحية خلية حية عامرة لا تتسلل اليها خيوط العنكبوت .

وكذلك الشأن في مسرحية « ابسن » المسماة « عدو المجتمع » فان فكرتها تقوم على موقف الصلح الاجتماعي تجاه عامة الناس ، ومدى شعورهم نحوه ، ومبلغ استجابتهم لما يسن لهم من مشروعات الاصلاح . فهذه بلدة حمامات يحج اليها القصاد من كل صوب ، فيستفيد اهلها بذلك ايما استفادة ، وهذا رئيس الاطباء في تلك البلدة يستبين له ان ماء الحمامات فيها ملوث ، فيضع تقريرا ضافيا ليرفعه الى ولاة الامر ، وينشره على الملأ مطالبا فيه بان تقام منشآت صحية جديدة تكفل نقاء الماء وخلوصه من الشوائب والاكدار ، ويرى المهيمنون على البلدة ان وقف الاستحمام في هذه الينابيع يمنع الخير الذي يصيبونه ، وشوائب الماء واكداره لا تحول دون توافد الزوار ، لان اضرار التلوث غير ملحوظة في الاجساد ، فلا بد ان يحجب التقرير عن الناس ، حتى لا يضار اصحاب المصالح في البلدة بنشر ذلك التقرير ، اذ يعاف المستحمون ان يختلفوا الى تلك الينابيع ، فينقطع الربح ، ويذهب الغنم . وهكذا يشتجر الخلاف بين مصلحتين : عامة وخاصة ، مصلحة المطالبة بوقف الاستحمام في الماء الملوث ، لكي لا يمرض الناس ، ومصلحة المطالبة باستمرار العمل في الحمامات ، لكي لا يفوت المنتفعين ما يعود عليهم من كسب مدرار ، وينتهي الصراع الى تغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، فينجح المنتفعون في تشويه سمعة الطبيب ، وفي تأليب الجماهير عليه ، وفي المطالبة بوقف مشروعه الذي يعرض البلدة للخراب ، وبذلك يخفق الطبيب المصلح ، ويطوى مشروع الاصلاح .

لقد ابدع « ابسن » في عرض تلك القضية الاجتماعية الابداع كله ، فبسط لنا في تحليل دقيق نفسية هذه الفئة من المنتفعين ، وما تتميز به من اعلاء المطامع الشخصية على الصالح العام ، فأوثق الصلة في موضوعه بين الواقع الاجتماعي المعاصر له ، والحقيقة الانسانية التي لا يسلم منها مجتمع بشري على الاطلاق . ولقد آثر « ابسن » ان يكون في فنه صادقا كل الصدق ، فلم يصطنع في مسرحيته نصرة الخير على الشر ، تمليقا لمكارم الاخلاق ، ومداهنة بالرفيع من المثاليات ، وانما ترك المصلح ينهزم في معركة الاصلاح، وصور الجماهير وهم يلقبونه : « عدو المجتمع » ، لكي يكشف لنا صولة الشر في فطرة البشر .

كان في مستطاع « ابسن » ان يصور لنا الناس ملائكة يفتدون المصلحة العامة بالمنفعة الخاصة، فيهتفون للمصلح، ويشيدون به ، ولكنه ابى في تلك المسرحية بما يحيط بها من ملابسات الا ان يبصرنا بالطبع الانساني الغالب ، وان يتعمق بنا في امواج الحياة الدافقة، وان ينير اذهاننا بحقائق المجتمع الواقعي ، لنعرف ما يكابد المصلحون من عنت فيما ينتهجون من اصلاح . فمن العسير القريب من المحال ان يجمع الناس على راي المصلح وتوجيهه عن رضا وطواعية . وهم يستشعرون ما يجشمهم من بذل الجهود في تغيير المألوف وتبديل الاوضاع .

ذلك مثل الاديب الهادف في قوته وفي خلوده . واما المثل الاخر . مثل الاديب الهادف الذي لم تتوافر له القوة

والخلود . فهو « بريو » في روايتــه « بلانشت » . فرض على نفسه نظريــة اجتماعية . وجرد قلمه ليثبت انهــا صحيحة . تلك النظرية هي انه يجب علينا الا نعلم البنت تعليما لا يتفق وبيئتها . فالبنت القروية التي تتعــلم في « باريس » لا تستطيع الحياة في قريتها اذا عادت اليهــا . فلا بد من اقامة معاهد علمية في الريف تسايــر حياتها وتلائم اوضاعها . حتى لا تضطر البنت الى مغادرة البيئة التي نشأت فيها . ولا تتعرض لهزات بيئة غريبة لا عهد لها بها . في هذه الدائرة التي رسمها « بريو » لنفسه ، دائرة تعليم البنت في « فرنسا » في ذلك العهد . حبس المؤلف موضوعه وشخصياته . في حصار من زمان ومكان. فظلت الصلات واهنة بين هذا المــوضوع والشخصيات وبيــن العوامل الانسانية العامة . وخرجت الرواية بفكرة جامدة ضيقة . هي ان كل فتاة قروية تتعلم في المدينة يستحيل عليها ان تحيا ثانية في القرية . وما كان لهذه الفكرة الجامدة الضيقة ان تبقى . وقد تغيرت نظــم التعليم . واختلفت الاراء في شان الفتاة القروية وغير القروية : ماذا تتعــلم ؟ وكيف تتعلم ؟ بل لقد انتشرت المدارس في القرى . بل لقد تقاربت المدائن والقرى في مرافق الحياة واسباب العيش . وبذلك اصبح موضوع الرواية ضائع الهدف . تافه الشأن. واصبحت الرواية اثرا من الحفريات الادبيــة لا تذكر الا برقمها وتاريخها في مخلفات الادب الفرنسي .

والذي اخفق هذا الادب الهادف في رواية « بريو » ان المؤلف اوقع نفسه في دائرة مذهب تحكمي مفــروض . اذ اراد ان يثبت نظرية اجتماعية هي وليدة وقتها الراهــن . فجند مؤهلاته في الحبك والسبك حتى يصل الى النتيجة الحتمية التي دبرها قبل ان يبدا التأليف . ولو انه ربـط موضوعه الاجتماعي الظاهر ، موضوع تعليم البنت في بيئة غير بيئتها ، بموضوع اخر موصول بالنفس الانسانية في محيطها العام لانقذ الرواية مما اصابها من جمود . ولوفر لها حظها من عناصر الخلود .

فاذا تحدثنا عن ادب الاهداف . فما ينبغي لنا ان نحتفي به جملة ولا ان نأباه جملة . لنضع نصب اعيننا ان منــه الجيد الذي لا يجحد . ومنه الرديء الذي لا يعد . وان عدالة الراي في تقدير الادب لتقتضينا ان نزن كل انتاج منه بميزان فني يكشف عن جودته او رداءته . وان نسبــر غوره . ونتعرف مخبره وجوهره . لا يفتنا عنه تفاهــة غرض او بساطة هدف . ولا يغرينا به بريق عنــوان او جلالة موضوع . واننا لنظلم العمل الفني اذا زوينا عنــه اعيننا لمجرد انه يتناول مشكلة من مشاكل الحيــاة . او يعالج قضية من قضايا المجتمع كما يكره ذلك القائلون بان الفن للفن . واننا كذلك لنظلم الفن اذا غلبنا في تقدير العمل الادبي لمجرد انه يتناول تلك المشكــلات . ويعالج تلك القضايا . كما يحب ذلك القائلون بان الادب للمجتمع وفي سبيل الحياة .

وثمة ناحية اخرى حول ادب الاهداف يجب الا ننساها او نهون من شأنها . تلك هي ان مهمــة الادب لا يقف اختصاصها على تسجيل التطورات الاجتماعية في دنيــا البشر مما تتمخض عنه الثورات والانقلابات السياسيــة والاقتصادية والفكرية جميعا . فالاديب يتمرد على الاطــار المحصور . ويضيق بالمحابس التي تقوم اسوارها عــلى تخطيط اقتصادي . او يوحي بها منطق عقلي . او يتحكم فيها تيار علمي . او يتسلل اليها ما عسى ان يتسلل مــن ضروب القيود والحدود والسدود .

ميدان التعبير الفني رحيب الجنبات ، بعيد الافاق ، والاديب في هــذه الافاق والجنبات محلق بجناحيه حر في تأثره وفي تأثيره . لا يعوق خطاه اتجاه واحد . فهو يهيم هنا وهنالك وفق طبعه ومزاجه. يعبر عما يلائمه ويوائمه. تارة يطيب له ان يواجه قارئه بما يحيط به من واقع يشغل ذهنه حين يصبح وحين يمسي وتارة يستهويه ان يخاطب القارىء في اوهامه وفي نزعاته اللاشعورية ، وان يغــازل عواطفه ومشاعره . ويتحسس مكامن متعته ونشوته . لكي يهرب به من ذلك الواقع الممض الذي يكد ذهنه ويزحم عليه دنياه .

ماذا نعد لون الادب في مثــل « رباعيــات الخيام » و « الف ليلة وليلة » و « سيرة عنترة » وما اليها من قصص الادب الشعبي الشائق ؟ انعده لونا من العبث ، او ضربــا من الترف مكانه حواشي الحيــاة ، لا ينفذ منها الــى الصميم ؟ واذا عددناه كذلك فهل السعادة في الحيــاة مقصورة على الضروري الجــوهري من مطعم ومشرب وكساء ؟ وكيف نضع حدا فاصلا بين اللهو والجد ، بيــن الكفاف والترف ، بين ما هو ضروري حاجي وما هــو كمالي لا ضرورة اليه ولا حاجة به ؟ انعد الغناء من تــرف الحياة وهو صيحة البشرية الاولى في الافضاء بالمشــاعر والنزعات ، والتعبير عن النفس الباكية والنفس الطروب ؟ انعد الزينة للمراة وللرجل كليهما من ترف الحياة وقــد كانت الزينة منذ بداءة الخليقة ضرورة قامت عليها صروح الحضارة والعمران ؟ انعد طهو الطعام والتفنن فيه مــن الترف الذي كان حريا الا يكون ؟ انعــد من الترف تلك التوابل التي تطيب بها الاطعمة ، وهي التي من اجلهــا اقتحم الرواد الاولون مجاهل البر والبحر ؟ لا ريب في ان هذا كله واشباهه من مرافق الحياة ومظاهرها لم يكــن ضربا من العبث ، ولا لــونا من الترف ، وانما هــو دعامة من دعائم الكون ، ونظام من انظمة البشر . وانه حقيقــة من الحقائق الطبيعية الثابتة الخالدة لا نزاع فيها ولا جدال

لا بأس هنا بوقفة ننظر فيها شأن « الخيام » وما تــرك من « رباعيات » . . . لقد كان هذا الشاعر الفيلسوف في عصره ثالث ثلاثــة يرجع اليهم تدبير سيــاسة الدولة ومواجهة ما يتعاورها من احداث جسام . ولقد كان عصر « الخيام » يعج باشتات القلاقل والاضطرابات . ولكــن

« الرباعيات » لا تتراءى فيها احداث ومنازعات ووقائع ، ولا تنطبع على مرآتها اصداء تلك الحياة القلقة المضطربة . فقد خلت من السياسة والمغامرة والصراع ولم يكن فيها توجيه ولا نصح ولا ارشاد . انها دعوة جهيرة الى التلذذ والابتهاج ، دعوة صريحة الى الانس والمعافاة ، تطلب اليك اغتنام الفرصة لانتهاب المتعة . وتدعوك الى ترك التفكير في خوض المعارك ، وتخليص النفس من غمار المشكلات ، وتناديك بان تنعم بيومك ، بل بساعتك . فتدني من فمك كأسا من خمر محببة لتترشف من شرابها الطيب قبل ان تغدو انت شرابا في كأس المنون . فما بال هذه «الرباعيات» تنحو هذا النحو ؟ اتراها دعوة الى الانحلال الخلقي ، والفساد الاجتماعي ؟ اتراها حفزا على الهرب واغراء بالهزيمة امام صولة الحياة الباعثة على الكفاح ؟

ليست الرباعيات الخيامية في جوهرها الاصيل الا استجابة لظاهرة نفسية حقة . ففي طوية كل نفس بشرية نزعة الى التنفيس والترويح ، والانسان يهفو بين الفينة والفينة الى ان يحيا في بعدة عن شواغل الارض ، يهيم ساعة في مجال الطيبات من اللذائذ والمتع ، وان كان ذلك في مسبح الخيال . « فالخيام » الشاعر الفيلسوف يهيىء لنا ان نتذوق من خيرات تلك المائدة الشهية التي تتهافت حولها اشواق النفوس .

والحق ان الحياة لو كانت كلها جدا وكدا لما أحب امرؤ ان يحيا ، أو لما حرص انسان على الحياة . والمرء لا تتوافر له القوة ساعة الكفاح الا اذا كان في حالة نفسية ومعنوية موفورة الحظ من الرضا والاطمئنان . فلزام أن تكون لنا أويقات لهو ومسرة ننعم فيها بارواء الظامىء من المشاعر والنزعات ، فالفن كما يكون جدا وفلسفة وبعثا على النضال يكون هزلا وترويحا وهربا من العنت والارهاق ، وهذا وذلك كلاهما من مقومات الحياة وضرورات الاحياء ، فنحن في حاجة الى الجد كما نحن في حاجة الى الهزل ، ونحن في حاجة الى الحقائق الواقعة كما نحن في حاجة الى الاخيلة والاوهام ، ونحن في حاجة الى مناجاة الملائكة كما نحن في حاجة الى مهادنة الشياطين ، واذا اقتصر ميدان الفن على الحكمة والمثالية كان فنا ناقصا يفضي بالنفس الى ملالة ويأس ، فتستسلم للعواقب الوخيمة التي يؤدي اليها الكبت والضغط والحرمان ، وان الادب حين يتناول بريشته الساحرة موقفا من مواقف اللهو ، او عاطفة من عواطف الحب ، او لونا من الوان الطبيعة ، فيصف ذلك بريشته وصفا شائقا فيه ايحاء واستهواء انما يمتع القارىء ويبهجه ، ويجمل الدنيا في عينه ، ويفتح له آفاقا من التفاؤل بالحياة ، فاذا هو قد اوتي عزما على العمل ، وسطوة في الكفاح . واذن « فالخيام » في « رباعياته » يدعو الى ناحية من الخير ، يخدم بها المجتمع البشري ، ولكن في اسلوب غير الاسلوب الصارم الذي يدعو الى النضال الاجتماعي في صراحة وجلاء .

الابهاج والاطراب ، وامتاع القلب والذوق ، ومجانمة جد الحياة ، والجنوح الى فنون اللهو والمسرات ، يجب ان يكون هدفا للادب ، لا يقل في شأنه ولا في قيمته ولا في اثره عن غيره من الاهداف .

الفن في معناه الواسع كقوس قزح ، يحوي مختلف الاطياف ، ولكن اطيافه وحدة لا تتجزأ ، وهي في مجموعها تؤلف ذلك الخط العريض الزاهي الذي لا يكتمل جماله وروعته الا باجتماع اطيافه جميعا ، لا يطغى فيها لون على لون ، وسواء اكان الفن في هذا المعنى الواسع لاهيا ام غير لاه ، وسواء اكان دقيق الموضوع ام جليل الموضوع ، وسواء اكان ظاهر العرض ام ملحوظ المغزى ، فهو انما يهدف الى خير الانسانية وعونها على كفاح الحياة واحتمال ما فيها من اثقال .

ليس لنا ان نحدد لفنان موضوعه الذي يعالجه ، فلندعه ليختار ما يساير طبيعة نفسه ومدى استجابته ، وقوة تعبيره ، فمن الخطل ان نطالب المغني الذي اختص بتأدية لون من الاغاني الشعبية مثلا ان يؤدي الحانا خاصة في مسرحيات غنائية ، فهذا المغني تؤهله طبيعة صوته للابداع في ذلك اللون ، وهو يخدم الفن بابداعه في الغناء الشعبي ، والاخفاق يقتله حين نكلفه تأدية الحان تمثيلية لم يتهيأ للابداع فيها على مسرح الغناء .

ليس لنا ان ندفع بالعناصر الفنية كلها الى ساحة واحدة ، هي ساحة الحرب المباشرة في معمعان الحياة ، وليس من الخير ان نجعل من رجال الفن جنودا يحملون السلاح لخوض المعارك العامة ، فان وراء الجندية ضروبا من الاعمال تخدم المعارك بطريق غير مباشر ، وهي لا تقل اثرا عن أثر الجندي حامل السلاح في ميدان الكفاح ، فان الكفاح متعدد النواحي والضروب ، وفي ميدانه متسع للجميع

الاهداف العامة التي يحق للاديب او يحق عليه ان يتناولها بمعالجته الفنية البحتة ، لا تقبل سيطرة التحديد او التجميد ، فهي على كثرتها وتنوعها تختلف باختلاف العصور والعهود والملابسات وروح الجماعات ، ومن الاهداف ، ما يدفع اليه تطور جديد يفرضه الزمن على المجتمع ، وهذه اهداف تتصل اتصالا وثيقا بما يقتضيه التطور الجديد من حيث الموضوع او المضمون . ومن الاهداف ما يوحي به التأمل في الحياة ، واستبطان النفس ، والتعبير عن الوان العواطف والمنازع ، وتصوير النماذج البشرية التي تزخر بها بيئات الناس ، وتلك اهداف لها نصيبها في توجيه التطور وفي تعزيزه ، وهذه وتلك من متباين الاهداف يتألف منها ناموس الانسانية العام وهي في جملتها وتفصيلها تهدف الى دعم القيم الانسانية التي تتجمع منها خيوط اللحمة والسدى في نسيج التطور الاجتماعي الحميد ، وأن هذه القيم لتستمد من القلب البشري عناصر حيويتها التي تكافح بها تصاريف الايام لتبقى على الايام .

لقد نجم الخلاف على الادب الهادف من سوء الفهم

لمعنى الاهداف ، ومن تحديد نطاقها الذي لا يكاد يحـــد ، ولعل هذا الخلاف مرده في اغلب الامر الى ان المحدثين من النقاد ارادوا ان يتعجل الادباء مصلحة شعبية عامة ، وان يستجيبوا لاصداءاجتماعية قوية، مما نسميهمسائلالساعة

والراي عندي ان هذا الخلاف لا وجه له من الحق ، ولو تروينا في امره لالفيناه لا مسوغ له ، ولاستبان لنا ان الادباء والنقاد في غنية عنه . فان الاديب اذا كفلت له حريةالراي، وحرية التعبير ، فاستجاب من تلقاء نفسه في ظل هــذه الحرية استجابة مباشرة لتلك المصلحة الشعبية والاصداء الاجتماعية التي تملأ المسامع ، وتهز النفـوس ، وتوقظ الضمائر ، واستوثقت بين هذه الاستجـابة وبين النفس البشرية اوصال متينة ، جاء ادبه الحر الطليق هادفـا للمصلحة العامة ، مطاوعا لروح الشعب ، متأثرا به ومؤثرا فيه ، دون ما تكلف او افتعال .

ان الاديب الفنان المرهف الحس ، الصادق التعبير ، يحس وقع اقدام الزمن حواليه ، فينجذب طبعه انجذابا طوعيا الى معالجة الموضوعات التي يختلج بها مجتمعه ، فلا يلبث ادبه ان يدفع المجتمع الى آفاق تمده باسباب القوة ، وتبث فيه روح التفاؤل ، وتهـديه السبيل الى كسب معركة الحياة .

غير ان الاديب الهادف على هـذا النحو ، لا يبلغ بادبه ذلك المبلغ ، الا حين يتوافر لعمـله من اوضاع التعمير وخصائصه ما يكسبه الطابع الاصيل ، وما يعلو به الى مستوى الفن الجميل .

لا شك ان لكل عصر نبوته المقدسة من اهداف قومية خاصة ، او اهداف انسانية عـامة ، وهي في مجموعها اهداف اصلاحية تحررية دافعة بالجماعة الانسانية الى التقدم والرقي في رقعة عريضة او غير عريضة من رقاع الارض ، فاذا اتجهت رسالة هذه النبوة في مجتمعنا القائم الى ثورة على التفاؤل والتخاذل ، وتعبئة للشعور بالحرية والكرامة ، وابتعاث للالم المثير لليقظة ، واحياء للامل الدافع الى الكفاح ، وايمـان بالنفس بشحذ العزيمة والمضاء ، وانطلاق بالطاقة البشرية في كيان المجتمع الى اكتساب القوة والعزة والوعي ، فان في اعناق الادباء امانة غالية ازاء هاتيك الاهداف العزيزة ، هي ان يكـون منهم حواريون لتلك النبوةالصادقة ، والرسالة الرفيعة ، يزكونها باقلامهم ، وينفخون فيها من ارواحهم ، ويعمـلون على ان تكتمل لها اسباب النماء والازدهار .

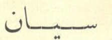
التاريخ شهيد بأن التطورات العميقة في الحياة الادبيـة رهينة بالتطورات السياسية والاجتماعية البعيدة المدى ، فالادب يؤثر في هذه التطورات ويتأثر بها في آن ، ومتى كان المجتمع الذي يعيش فيه الاديب مستشرفا لبعث قومـي يستكمل به حرياته ومشخصاته ، فلا معدى للادب عن ان يستجيب لهذا البعث كـل الاستجابة وان يواكبه فيمـا يهدف اليه من اغراض جسام .

ولكن الادب حين يستجيب لهذا البعث ، ويواكب تلك الاغراض ، لا يلتزم اسلوبا واحـدا من اساليب الاداء ، او طريقة مفروضة من طرق التعبير ، فربما عمد الاديب الى الاسلوب المباشر في الترغيب او التنفير . داعيا الى الفكرة التي ارتضاها في موضوع سافر الوجه ، وضاح الجبيـن . وربما آثر الاديب الاسلوب غير المباشر في تحقيق هـذا الفرض ، جانحا الى النقد الخفي ، في سخـرية مطوية ، فتستشف دعـوة التحبيب او التبغيض في غمـزات واشارات ، او في مغزى لا ينكشف الا لمن يتبين ما بيـن السطور ، ويقرأ ما تحت الكلام .

ما اكثر الامثلة التي صور فيها الادب اهداف العصور ، في سجل اخاذ ، وان كان غير مبين . ولعلنا فيغنية بالاشارة الى قصة «دونكيشوت» ، فقد عبر صاحبها «سارفانتيز» عن هدف عصر النهضة في الازراء بالارستقراطية ، اذ جعل القارىء يهزا بما لها من مراسم وتقاليد . ومثله في ذلـك مثل « موليير » الذي كشف في ادبه عن روح العصر فـي ضيقه بأدعياء الطب وأدعياء الدين ، فاتاح للقارىء انيسخر من الطبيب الدعي اذ يفتضح دجله للعيون ، ومنرجلالدين الدعي اذ يتجلى ما تنطوي عليه نفسه من نفاق .

وفي عصرنا الحاضر ، يسعنا أن نلمح تعبيـرا عن روح العصر واهدافه في منحى عجيب ، ظاهره المبـذول يكشف عن خافيه المستور ، وكـأنه تعبير عـن الشيء بالضد او النقيض ، وذلك في مثل قصصالكاتبة الفرنسية «فرانسواز ساغان» ، فانت اذا قلبت النظر في قصصها طـالعتك صفحات عابثة سادرة من حياة « باريس » ، وربما صدر حكم القارىء اول وهلة على هذا اللون منالادب بانه اباحية وفحاشة ومجون ، وانه ادب ضعة وضعف وفساد ، ولكن امعان الفكرة في هذه الصفحات العابثة السادرة يهدينا الى استخراج ما يستكن في اطوائها من حقائق ، ما توحي به من عبر ، فلعل هذه الكاتبة الفرنسية بوصفها فنـانة ارادت ان تستخدم من الوان التعبير غير اللون المالوف ، ولعلهـا في وعي منها او في غير وعي شاءت ان تصور لنا جانبا مـن الحياة الباريسية فيوقتها الراهن يتميز بالتفاهة والخواء ، اذ يتفشى فيه انحلال اجتماعي معيب ، لكن يبـدو هذا الوجه على صورته الشائهة ، فتستنكر الاذواق ما فيه من قبح ، وتتوق النفوس الى صورة اخرى من حياة الجـد والرشد لا اباحية فيها ولا انحلال .

ومهما يكن من جدال النقادوالكتاب في شان الادب : هل يكون هادفا او غير هادف ، موجها او غير موجه ، مجندا او غير مجند ، ملتزما او غير ملتزم ، فما احسب كاتبـا فنانا في مقدوره ان يغفل الاحداث التي يعج بها زمنه ، فان هذه الاحداث تهز كيانه ، وتتغلغل في صميم بيئتـه ، وان الكاتب ليستهين بأمانة القلم في يده اذا هو لم يتسمـع لمختلف الهتافات والمناجيات التي تضطرم في مجتمعه واذا هو لم يلتقطها ويبث فيها من ذوب نفسه ومن فيض روحه



وماذا بعد شوقي ؟
وماذا بعد رغائبي ؟

واخلط الوهم بالحقيقة
فاقول انا ذكرى بعيدة
سيان ان عشت سعيدة
وضممت الى قلبي المحال

وطالما ان غدي لامسي
واحلامي ليأسي
وانفاس يومي
هبة

فسيان ان ضممت المحال

ومن الاغوار
يندفع صوتك
من الاغوار
مرددا
بعناد واصرار

وماذا بعد شوقي ؟
وماذا بعد رغائبي

فاطرح الوهم بعيداً
وبين عبرات ، اقول

هي سراديب تطول ،
كل تحرقي
لا يجدي فيها

حلب — **رينه عبودي**

ما يجعلها مددا للفكر الجديد . وكيف يكون الكاتب مخلصا في استيحاء الحياة من حوله‌ان هو صمت‌اذنه دون‌انبعاث قوى في مجتمع يعيش بين ظهرانيه ؟

ما اهون ان يكون الاديب معدودا من اهل عصره بتاريخ ميلاده ، لا بما يحمل ادبه من معالم تضعه حيث وضعته الايام من احداث وطنه في ذلك التاريخ .

فليكن الكاتب حيث هو من وطنه ومن زمنه ، ولكن لا يفرض على نفسه شيئا ، ولا يتخذ من قلمه بوقا يعلو به صوت مسوق اليه ، محمول عليه . فذلك هو التكلف الذي لا جدوى فيه ، وذلك هو الافتعال الذي نأباه . وما نبغيه ونعنيه هو ان يرهف الكاتب حسه ، ويفسح من نفسه مجالا تتجاوب فيه اصداء الحياة ، فانه خليق ان ينتفض وان يستشعر ، وان يتوافر له الانفعال القوي ، فلا تلبث نفثات فكره وروحه ان تذكي الجمرات التي تومض في مجتمعه تحت الرماد .

ربما آثر الاديب الا يربط بين فنه وبين تيارات تتناوح من حوله ، اذ يؤمن بان العمل الادبي اذا ارتبط بهذه التيارات نقص حظه من الفن ، وقصر عمره في حساب الزمن، وفاتته المنزلة الرفيعة التي تتاح للاعمال الفنية غير المقترنة بملابسات عابرة في حياة الامم وكفاح الشعوب .

ولكن الحق ان الاديب اذا عمق حسه ، وصدق استلهامه ، وآمن بما يجري به قلمه ، لم يستعص عليه ان يكون فنه قويا خالدا وان تناول احداث العصور ، وعبر عن ملابسات الجيل ، وانصاع للتيارات العارمة التي تمر بالمجتمع

واذا طلب لنا ان نهتف بحرية الاديب فيما يجري به قلمه ، وفيما تضطرم به نفسه ، وان ننشد له طلاقة الطائر في الافق ، فعلينا ان نهتف كذلك بالرسالة الانسانية الملقاة على عاتق الاديب الحر ، رسالة الاحساس بالحياة التي يحياها ، والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه ، وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة ، تدعو الى حرية وحق وخير وسلام .

القاهرة — **محمود تيمور**

ـ هل تطلب لي «نرجيلة »

ـ اهلا بالشيخ ، تفضل

سوف اسليك ، لن تندم على ثمن فنجان القهوة «والنرجيلة» ، للاسف نسيت ورقة التنباك في الدار ، انهم يتناولون ثمن النفس اربعة قروش هذا ثمن غال في « رام الله » ولكن لا بأس فالجلسة مريحة ، والخدمة ممتازة ، رأيتك وحيدا فاحببت ان اجالسك لاسليك ، اظن انك من القدس ، انا اعرفك ، واعرف اخاك الكبير الذي استشهد في ثورة سنة ١٩٣٦ ، اليس كذلك ؟ أنا اعرف اشياء كثيرة ،ولكن انتم الشباب مفرورون تظنون اننا حمقى ، نهرف بما لا نعرف لقد كنت « المنجم » الخاص للسلطان عبد الحميد ، انهم يقولون عنه : آنه كان جبارا وظالما لا تصدق شيئا من ذلك ، سلني انا ، كنت اجالسه وانادمه ، كما اجالسك انت الان ، وقد نعمت حينا بعطاياه ، وعندي وسام منه ، اضعه على صدر جبتي هذه في المناسبات الرسمية هل تعرف ان الصحف والمجلات تحدثت عني ؟ وزارني في داري مندوبو الصحف ، وكان يتردد على الكثيرون من الوزراء ، وزراء العرب والانجليز وغيرهم ، لي معارف كثيرون من الاجانب يبعثون لي رسائل خاصة ، لاقرأ لهم مستقبلهم واحدثهم عن حظهم ، ثم يرسلون لي بالهدايا سنة من سنوات الحرب ، تنبأت لاحد وزرآء الحلفاء بانهم سيكسبون الحرب ، فكانت « لندن » حطاما ، تدكها قنابل هتلر ، ومع هذا عرفت انهم سينتصرون ، ارسلت لهم هذه النبوءة ، فارسلوا لي مئتي دينار رددتها لهم ، فارسلوا لي خمسمائة.

كانت داري في « باب الخليل » لا بد انك تعرفها ، ملجأ للمحتاجين ، ومأوى لصاحبات الحاجات هي في صدر الشارع العريض ، ولكن ... واأسفاه ، لانستطيع ان نصلها ، لانها في « اسرائيل » .. على فكرة ، هل سمعت الاخبار ؟.. متى سيستردون فلسطين .. كما ترى انا هنا وداري هناك ، اسكن بالاجرة،واقضي وقتي في هذه القهوة لم يعد احد يهتم بي ، ولا بعمامتي وليس من يطلب خدماتي ، حتى اهل القرى الطيبين الذين كانوا يكثرون من طلب احجبتي لا ارى احدا منهم، يرونني ولايقبلون يدي ، كان الفتيان والفتيات ياتونني ولكل منهم مطلب فيرجعون وقد حالت مشاكلهم ، وكانت طرقي متعددة ، ولكنها توصل آلى المطلوب .. اه .. كم جمعت بين الاحباب وحللت العقد والمشاكل ..

في هذه « القهوة» يجيدون الخدمة وبخاصة النرجيلة ، وعليها التنباك العجمي الجيد ، لقد طلبتها لي ، اليس كذلك ؟.. آنني اسليك ...

منجم السلطان

بقلم رشدي الاشهب

وستدفع ثمن فنجان القهوة ايضا، لقد كان أبوك صديقي ، وكان يزورني في داري، دعوته عدة مرات لتناول الفداء ، ولبى دعواتي فعلا ، نحن اوفياء ، ونعرف قيمة الصداقة ، ولكن انتم ـ شباب اليوم ـ مغرورون لا تعترفون بشيء ، وقليل منكم من يعرف الوفاء. لقد كدت ان ازوج اباك بابنتي ، ولست ادري ما الذي جعله يتراجع، أبنتي كانت وماتزال جميلة. كل بناتي جميلات ، ما اروعهن، ان تقدم السن يزيدهن حسنا وفتنة ..

مساء امس وفي نفس المكان، قرات كف سيدة جميلة ، قلت لها اشياء



كثيرة وكانت تهز راسها موافقة معجبة ، كفها طرية لذيذة ، وعندما قلت لها ان خطوط كفك تعلمني انك تحبين الرجال سبتنني ، انها لا تحب الصراحة ، ولست ادري لماذا يكره الناس الحقيقة؟ لقد اسكتها وأفحمتها قلت لها انا صديق العظماء والوزراء اصارحهم بما فيهم ، ولا يغضبون مني .. فلماذا غضبت انت ؟ كانت تجلس مع اثنتين اخريتين، اسكتاها وقرات لهما كفهما ايضا ، ثم قبضت اجرتي ،وكانت اجرة طيبة لم اتناول مثلها منذ شهرين، وقد طلبت لي الاولى منهن « نرجيلة » وفنجان قهوة ثم اعتذرت لي .. انني عالم من علماء النفس .. اتعرف هذا العلم الذي يدرسونه في الجامعات لقد درسته في اوجه الناس وعاداتهم وكلامهم كانت داري مختبرا لاخلاق الناس . وفيها عرفت ضعف الطبائع البشرية ..

وفي اول جلسة اعرف هدف العميل ويدفع لي ما اطلب وزيادة ، كانوا يدفعون الكثير ، هذا غير الهدايا ، وذهب كل هذا ، لم يبق لي شيء .. حتى زوجاتي ، لقد تزوجت اربع مرات .. ومع هذا فلم تبق لي واحدة .. الاولى كانت أجملهن ، ريفية مخلصة عاشت معي عشرين عاما .. يا الله .. ثم توفيت .. تركت لي بناتي الجميلات.. واما الثانية فكانت عميلة لي ، كتبت لها حجابا لعل زوجها يحبها ، فلم يفد فقلت لها : نصيبك عندي، اتركي زوجك وتعالي فاتزوجك . وفعلا تم ماأردت ، كانت موسرة عاشت معي عدة سنوات ثم طلقتها تصور انني ضبطها مع عشيق لا اعرفه ، لقد قفز الجبان من نافذة بيتي وهرب .. وتزوجت ثالثة تعيش الان مع ولدها ، آنها ترفض الحياة معي لا تريدني ، ولا تحب خدمتي ، واما الرابعة فقد عاشت سنة معي ثم اختفت لست ادري اين هي الان ؟

تصور .. اتزوج اربعا وليس عندي واحدة ، وأولادي ربيتهم وعلمتهم

ولكنهم لا يعترفون بي كلكم هكذا – شباب اليوم – لا تعترفون بشيء ابدا .. تعترفون بانفسكم فقط انني اسليك فلا تغضب مني .

لن تندم على ثمن فنجان القهوة .. اليس كذلك عندي عجائب كثيرة ، وكلها واقعية .. ليست خيالية ، في مرة استدعوني – نصف الليل – الى قرية « سلوان » انت تعرف انها قريبة من القدس . والمشكلة مشكلة عروس اصابها عارض من الجن . فهي تهوس وترتجف ثم تتصلب كل ذلك حدث في ليلة العرس فقط ، وحينما وصلنا الدار ، كان الجميع في فزع هائل ، وبخاصة العريس ، الذي كاد يصاب بالهوس فعلا ، امرتهم باطلاق بخور خاص ، جئت معي ببعض منه ثم نحيتهم واغلقت باب الغرفة ورائي ، كانت شابة جميلة ، تمتليء صحة وشبابا وبهذا فهمت انها تتصنع الهوس ، وعليه فهي لا تحب عريسها ، اطلقت البخور ، ثم اسررت اليها – اسمعي .. ليس بك شيء واقسم بالله العظيم ، ان لم تنهضي حالا لاجعلن الجن تركبك حقيقة ثم تحرق انفاسك ...

فهبت واقفة ، وانحنت تقبل يدي ثم رجلي .. فقلت لها : لا بأس عليك هذا نصيبك في الحياة .

قالت : لا احبه ياسيدي الشيخ .. انقذني .. اريد ابن عمي

فقلت لها : لا بد منه ، لقد حسبت نجمك ونجمه ، انهما معا .. ولكن جربي الحياة معه . وتعالي عندي في داري واخبريني وسوف ترين .. واطاعت ، وجدد اهلها العرس ، وخرجت بالعشرين دينارا لانني طردت الشيطان من جسد ابنتهم ..

لا تظن ان قصة هذه العروس انتهت .. لقد جاءتني بعد ست سنوات ، عرفتها بمجرد ان رأيتها انجبت ثلاث بنات ، وهي تخاف من الرابعة ، لان حماتها تثير زوجها للزواج وتقول له انها تلد البنات ، والزواج حلال ، لماذا لا تتزوج اخرى فتنجب لك الاولاد ، انها حامل وتريد ولدا فناولتها حجابا ، ونقدتني خمسة دنانير وتكتشف الحماة الحجاب ، وتخبر ابنها . زوجتك عملت لي ولك سحراً عندها حجاب تضعه تحت الوسادة .

وينزعج الزوج اشد الانزعاج ويسأل زوجته في ذلك ، فتعترف له ، ولكنه لا يصدق ان الحجاب ليس ضده وضد امه ، ويحلف عليها بالطلاق لترجعن الحجاب ولتسترجعن الثمن ، وجاءتني باكية حزينة فاعطيتها الدنانير الخمسة واسترجعت الحجاب ، قلت لها : لطف الله بك وبزوجك ، لقد عملت هذه الكلمات القليلة ما لاكنت اتوقع .. ذهبت الى زوجها غاضبة ثائرة لقد ضربها، ووصلتها ركلة في بطنها اسقطت الجنين قالت لها الممرضة – خسارة لقد كان صبيا .. ويغضب اخوتها وابوها غضبا بالغا ولولا توسط اهل الخير لفتكوا به ، وفي اليوم التالي كانوا جميعا عندي يطلبون حجابا اخر ونقدوني ضعف المبلغ المردود .

ما رأيك .. لقد كنت اعامل كل زبون بمناسبة ، انني اسليك ... ويظهر انك طيب تحب أن تسمع .. اطلب لي فنجان قهوة اخر .. كادت النرجيلة تحترق .. كنت اشرب من ثلاثين الى اربعين فنجان قهوة يوميا حيث كان عندي خادمان ربيتهما في داري ، ثم هربا عندما اصبحت فقيرا .. زرني في داري فاريك وسام السلطان عبد الحميد، وساريك اشياء اخرى .. انت اعزب .. اليس كذلك سأزوجك فتاة جميلة ، بنت عائلة محترمة ، يستطيعون ان يساعدوك في الترقيات وتشتري سيارة فاخرة فما رأيك ؟ زرني في البيت فاريك صورتها .. انها تصلح لك ، اذا قدمتك لاهلها قبلوك ، وزوجوك ، انهم يثقون بي قلت لك انني اعرفك ماذا تشتغل ؟ الست موظفا ..؟ وما هي درجتك اليست الثامنة أنت شاب طيب ، اتعرف راووق بك الفسخاني ؟. انا الذي زوجته ابنة وكيل وزارة الطيران، لقد حصل على ٥ درجات في خمس سنوات انه يرسل لي الهدايا كل سنة ، وازوره كل شهر زرني في البيت فتصير مثله والا فستبقى كما أنت .. ما رأيك ؟

اخبرني اذا وافقت لاريك صورتها ثم نذهب لنزورها ونستراها، وسوف اقول لهم انك ابن اخي ،ولن اكذب في ذلك ، لقد كان والدك صديقي ، ودعوته مرات لتناول الغذاء في بيتي.

هذه الفتاة رائعة ، واخلاقها عالية ..اعرفها واعرف جميع افراد عائلتها وجاءتني أمها قبل اربعين عاما ، زارتني لانها تريد حجابا يمنعها من الاجهاض لقد اسقطت عدة مرات فكتبت لها ، واعطيتها اياه ونقدتني عشرين جنيها مقدم الاتعاب، وعرفت فيما بعد انها كادت تموت ، لولا لطف الله ، وعلمت بذلك بل علمت انها حكت لزوجها عني ، وانها لم تتألم لحالتها بقدر ما تألمت لهذا الذي خدعها ، وعندما جاءني زوجها ، والشرر يبرق من عينيه ، وبصحبته ثلاثة من اقاربه ، فاجأته بقولي : اهنيك بسلامتها ، فهدا الرجل قليلا، وقال : نريد المبلغ الذي اخذته

قلت له : معك حق ، ومعي حق ، اين الحجاب ؟ قال : في البيت

قلت له : لقد كانت نبوتي صحيحة مئة في المئة وقد لطف الله بها بسببه.

قال : هذا غير صحيح .. اتريد ان تخدعنا مرة اخرى ؟ ...

قلت : واذا كان كلامي صحيحا

قال : نعطيك مثل المبلغ مرة اخرى

قلت : هيا بنا .. وهناك فتحت الحجاب ، وقرات لهم هذه العبارة بين الحروف والايات « اما المولود ففي ذمة الله واما الوالدة فندعو الله ان يلطف بها » ولم ارجع الا بعد ان قبضت المبلغ ومع الاكرام سيارة توصلني الى داري .

القدس رشدي الاشهب

فتنة شادية

حلفتُ بعينيكِ يا ساميهْ — حديثك شعر بلا قافيهْ
وثغرك اهزوجةٌ حلوةٌ — على شفة الوردة الداميه
وعيناك راهبتان افاقت — بقلبيهما حسرةٌ غافيه
تهم بافشائها نزوةٌ — وتحبسها رهبةٌ فاشيه
وشعرك حلم الشعاع تدلى — عناقيد في عُرُس الداليه
توسده العطر ارجوحة — مع الشمس رائحة غاديه
وصوتك نجوى النسيم الندي — وتمتمة الطير للساقيه
تنزه عن ترّهات التراب — وجدد الوانه الباليه
تحوم عليه قلوبُ الندامى — وتصدر ريانة صاديه
كساه الربيع بألوانه — وموّجه بالرؤى الزاهيه
اذا انساب تحت جناح الدجى — تراقصت الانجم الساهيه
ومالت على وردة وردةٌ — توشوش في اذنها شاكيه
اخيةُ في الحي عرسٌ تقود — مواكبه فتنةٌ شاديه
فكيف تغافل عنا الدعاة — اكنا من النوم في غاشيه ؟
اخية قومي اما تسمعين — اغاني السماء على الرابيه ؟
اخية قومي اما تنشقين — بهذي الاغاني شذا ساميه ؟
وينساب صوتكِ حلواً شجياً — كدندنة الناي للراعيه
فيصطفق الحي من نشوة — ويغرق في آهة طاغيه
ويهمس في سره شاعرٌ — يغالب دمعاته الهاميه :
حلفت بعينيك يا ساميه — حديثك شعرٌ بلا قافيه
احبك جسماً شهي المجاني — وروحاً صفاتها دانيه
واهواك صوتاً يفيض رجاء — ويهمي حياة على الباديه
نثرت على قدميك جروحي — فلا تُرخصيهن يا غاليه !

بوانس ايرس — **زكي قنصل**

مقارنة بين اللغات المجرية وبين اللغة العربية

بقلم المستعرب المجري عبد الكريم جرمانوس

يشرفني ان اعترف امامكم الى السادة العلماء الاجلاء انـه يحيرني كيف ابداالكلام امامكم باللغة العربية التي علمتهـا لنفسي بنفسي في محيط بعيد كل البعد عن البيئات التي تتكلمهـا ــ واذا كنت قد اكتسبت بعض الالمام بجانـب من تعابيرها فانما يرجع ذلك الى تحمسي لتلك النتائـج الثقافية التي نشأت من اللغة العربية وكانت فخرا للبشرية في القرون الوسطى والتي بعثت في ثوب قشيب منـذ خمسين سنة في مصر وسوريا وغيرهما .

لقد شرفني مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتقديـر مجهوداتي ثم انتخبني عضوا مراسلا لهذا المجمع الموقر . واسمحوا لي ان اقول من قلبي أن اختياركم هذا هو اثمن تيجان حياتي ــ واشعر بعميق الامتنان لهذا التقديـر العظيم لجهودي . والان اقول : ان في عزمي أن اخـدم الثقافة العربية لمصلحة كل من يهتم بتطورها في المستقبل.

سادتي : اسمحوا لي ان اتحدث اليكم عن نمو لغة اجنبية اقصد بذلك ذكر لغة لا تنتسب للعربية قليلا او كثيرا عسى ان تخدمنا كوسيلة للمقارنة والمباينة وبذلـك تكون نافعة كانموذج لظروف مشابهة اخرى وهذه هي : المجـريـة .

تنتسب المجرية الى فصيلة اللغـات الـ « اورال ــ الطائي » سواء بسواء كاللغتين التركية والفنلندية ــ انها لغة متلاصقة بمعنى ان الضمائر تضاف الى اخر الكلمـة بدون تبديل الجذور وفي هذه الحالة وحدها يوجد تشابه على ما يظهر بين فئة اللغات الاورال الطايي والساميـة . واللغات السامية ايضا لها ضمائر متصلة بالملك مثـلا التركية : اوم . اوك . اوي ــ او المجرية

« hàzam, hàzad, hàza »

والعربية: بيتي. بيتك. بيته. لكنه هذا تشابه سطحي فقط ولا يدل على قرابة بين فصيلات اللغات لان في اللغة الفارسية الجديدة نقول ايضا خانه م. خانه ش. وتختلف هذه اللغات بعضها عن بعض تماما فيما عدا ذلك في التركيب ــ ساقت هذه الظاهرة بعض اللغويين المجريين قبل قرن من الزمان ان ينادوا باشفاق اللغة المجرية من العبرانيـة لان العبرانية كانت معروفة للقساوسة البروتستنتييـن وظنوا انهم يستخرجون كل حكمة من العهد القديم ولكن كانت محاولتهم اخفاقا تاما .

لقد تطور علم اللسانيات منذ ذلك الوقت الى علـم مثبت مع قواعد النطق المحددة ــ وكان هذا العلم : اي علم اللسانيات ان يقرر علاقة اصلية بين فصيلة : انـد وآري وبين اورال الطايي من جهة وبين فصيلـة انـد وآري والسامية من جهة اخرى .

واذا تطور هذا العلم اكثر فاكثر فانه سيصل اخيرا الى ادراك الحقيقة التي نبه اليها القرآن الكريم في قولـه تعالى « انا خلقناكم من ذكر وانثى » وفيما يلي اشرح مـا اقصد : خلق الله البشر متساوين ولا توجد بينهم فروق الا بالنسبة لاختلاف لغاتهم ولكنهم متساوون من الوجهة المنطقية يتصل تاريخ اللغات اتصالا تاما بالظـروف الاجتماعية النسبية للشعوب ــ تطبع كل حقبة تاريخية في حينها بقاموس الشعوب فاذا كانت الظروف الاجتماعية سيئة تضعف اللغة وتضمحل فاذا سادت قوة اجنبيـة ما شعبا ما يستخدم الادباء اللغة الاجنبية ويضمحل الادب الوطني ــ كان هذا الحال بالنسبة الى الادب المجري ابان القرون الغابرة استخدمت اللغة اللاتينية في الكنيسـة الكاثوليكية وفي التشريع واستخدم الموظفون اللغة الالمانية واقتصر استعمال اللغة المجرية على الفلاحين وعلى بعـض الادباء الفقراء .

لكن تحرك الضمير الوطني المجري قبل قرن ونصف لايقاظ اللغة المجرية من سباتها وبذلك انقذ الشعب المجري من العبودية بفضل الادباء المجريين الذين درسوا كنـوز آدابهم المطمورة واستخرجوا من تقاليدهم القديمة الكثير وجمعوا مختلف اللهجات الريفية وانبروا الى انشاء لغـة جديدة من امثالها ــ والاصطلاح : يعيش الشعب فـي لغته اصطلاح مقبول كما يقول المثل ــ ذلك بان اللغة هـي المستودع الطبيعي لمظاهر الحياة .

ولكن وجد ان المادة الموجودة في الادب القديم وكلام العامة لم يكن كافيا للتعبير عن مقاصد الحياة النابضـة ومعانيها الراهنة لان اساليب الحياة تقدمت عما كانت عليه في اطوارها البسيطة والزمت طبائع الثقافة والحضـارة والمخترعات والوسائل الالية خلق الاف الكلمات الجديدة. وعلم انه الى جانب نمو اللغة الطبيعي يحتاج الى اختـراع التعابير والكلمات المصطنعة . فقـد استعملت الاف الكلمات اللاتينية لهذا الفرض لكن الضمير الوطني المجري

حتم استخدام كلمات مجرية عوضا عن اللاتينية .

كان الشعراء اول من استعمل الكلمات المجرية وجاءبعدهم الكتاب الناثرون واخيرا اتىاللغويون المحترفون

وسريعا نشأ مذهبان : المذهب الاول ناصر التجديد بالالهام وصنع كلمات جديدة اما باضافة حروف جديدة للاصل وبذلك وسعوا الاصل واما بحذف اواخر الكلمات واستعملوا الباقي للكلمة الجديدة . واختلق الكتاب والشعراء والصحفيون الوفا من اشباه هذه الكلمات المصطنعة وكان اليراع السريع بمثابة الخالق وكان القاريء الظمآن بمثابة الناقل . ولهذا كان هؤلاء وهؤلاء عوامل اثراء اللغة .

المذهب الثاني خاف من المغالاة في توسيع اللغة السريع بدون رقابة كما توجس من الدخلاء غير المتخصصين لغويا وقدر انهم ربما اتلفوا روح اللغة . نشأ صراع بين المجددين الجسورين وبين المحافظين الذين تشبثوا بحماية روح اللغة مستندين الى النمو الطبيعي البطيء للغة . ولكن الحياة كذبت نظريات العلماء غالبا وقد اتى نمو الادب المجري السريع حكما بين المذهبين والاف الكلمات تنطق بها وتستخدمها في الكتابة ولا يعرف احد اصولها المصطنعة الا اللغويين .

فقد ادعى المجددون انه لا توجد لغة راكدة — حتى الادباء الرومانيون الكلاسيكيون احسوا لزوم توسيع لغتهم — وشكى Lucretius Carus

في كتابه .De rerum natura

من egestas linguae

وهوفقر اللغةاللاتينية وتكلم سيسرو فيخطبته fro Caecina

عن Lingua inops أي انها لغة عاجزة.

وقد ذكر .Quintilianus

في Institum arabians pourpertas seruonis

التي تعني فقر الخطاب ونادى الشاعر العظيم اللاتيني

Licuit semperque, Homtius Haccus.

licebit producere nomen ان اختراع الكلمات كان مباحا في الماضي وسيظل كذلكفي المستقبل .

كانت اللغة اللاتينية في القرون الوسطى سائدةفي الاديرة واستطاع القساوسة فقط القراءة والكتابة وكان ذلك هو السبب في فقر الادب المسيحي بالمقارنة مع الادب العربي لان المسلمين في القرون الوسطى احكموا القراءة ويدلنا التاريخ على ان بمكتبة قرطبة اربعمائة الف مخطوط في الوقت الذي فاخرت فيه الاديرة المسيحية بان لديها مائة او مائتين من المخطوطات . واذا القينا نظرة عامة على البلاد الاوروبية نجد انه عندما ضاعت سيادة اللاتينية لم تحل محلها اللغة الاهلية وانما حل محلها لغة اجنبية اخرى سبقت في تطورها اللغة الاهلية. — في انكلترة مثلا اصبحت اللغة الفرنسية لغة العظاميين والقصر — وحدث نفس الشيء في المانيا وروسيا وبولندا اما في فنلندا فاخضعت اللغة السويدية تطور اللغة الوطنية مدى طويلا — وفي المجر حلت اللغة الالمانية محل اللاتينية . . لكن العظاميين تكلموا الفرنسية الى حد ما — وكانت مناقشة القوانين وكتابتها في مجلس النواب المجري باللغة اللاتينية حتى انتهاء القرن الثامن عشر .

ويرجع الفضل للنهضة الوطنية في ايقاظ الشعب الى لزوم لغة جديدة يستعملها العامة والمثقفون على السواء — وخاف فريق المحافظين مرة اخرى من اباحة توسيع اللغة دون رقابة مما قد يتلفها وينحدر بها .

وحينما تأسس مجمع العلوم المجري منذ مائة وعشرين عاما، هدأ الكفاح بين الناثرين المخترعين للكلمات والمحافظين اللغويين لانهم توصلوا الى تراض متبادل هو أن الكلمات التي سبق ان صاغها المجددون اقر لكثير منها المجمع العلمي لانها وافقت روح اللغة ولهذا اكتسبت موافقة الشعب ايضا كما ان كثيرا من الكلمات التي اخترعها مجمع العلوم قبلها الشعب للاستعمال .

واصبحت الحياة النابضة اقوى من كل شيء لانها استطاعت ان تجعل الوعي العام يقبل او يرفض مايفيده. ومع ذلك يجب ان توجد رقابة حازمة ترقب المعركة بيقظة دائمة بحيث لا تسود الاشكال الشائهة مهما كانت رائجة على علاتها حتى لا تتلف كل ما بنته القرون الفائتة .

والقوة المراقبة التي اشرنا اليها هي المجمع العلمي الذي يجب ان تسود سلطته الموجهة ويجب ان تحترم قراراته لانها منبعثة من المعرفة والتأمل الدقيق وحرية النظرة التي لا تتعارض ومخترعات الناثرين او الشعراء الذين يمدون الناس بكلمات وتعابير مقبولة في فترات الالهام

اسمحوا لي الان ان القي نظرة عاجلة امامكم على لغتين اخرتين مدينتين للغة العربية في كثير جدا من الكلمات . اعني اللغتين الفارسية والتركية . فان هاتين اللغتين وكذلك الاردية اكتسبت بواسطة الدين الاسلامي كثيرا من الكلمات العربية بمعنى ان الادب التركي والفارسي في بعض اطوارهما ظهر كل منهما ادبا عربيا اكثر منه تركيا او فارسيا .

وباشتداد الوعي القومي طردت اللغتان بعض الكلمات الدخيلة واستعاضتا عنها بكلمات تركية وفارسية — لكنها كلمات موسعة من الجذور القديمة او مخترعة اومصنوعة او منحوتة من الادب الشعبي المهمل — كانت طريقتهم في ذلك شبيهة بالطريقة التي اتبعها اللغويون المجددون المجريون قبل قرن .

والان نتحدث عن اللغة العربية :

تحتل اللغة العربية مركزا فذا أنها لغة جبرية كاخواتها اللغات السامية الاخرى . ان ثراءها غزير وتتفوق بمرونتها على كل اللغات الاخرى . وهذه الميزة جعلتها قادرة على خلق ادب مستمر دون انزعاج مدى اربعة عشر قرنا . اختلفت الظروف واختلفت الاوقات

خائفــــة

●

أأسلب من نفسي الوارفة
لأغمر بالسحر والعاطفة
انا خائفة
من العين دنيا حنان وحب رحيب
من النور يلمع بين ثنايا حبيب
من الوجد نار ودنيا ولوع
ومن حرقات الدموع
اذا التهبت في يديّ الشموع

أأغمر نفسي به
وأنعم في حبه
وأدخل في قلبه
منىً وارفة
أيسجن شوقي وحبي
ويقفل قلبي
على عاصفة
أنا خائفة

حلب — عزيزة هارون

وبينما ماتت كل اللغات الكلاسيكية او تغيرت بقيت اللغة العربية خالدة على الدهر ، والان تحيا مستندة الى القرآن الكريم بنفس القوة التعبيرية كما عاشت على السنة الشعراء القدماء والناثرين والعلماء الذين اهدوا البشرية اثارا خالدة .

اليوم لا نسافر على ظهر الجمال ولا نعيش في الخيام. لقد اصبحت حياتنا الى درجة مهولة .

قال معروف الرصافي الشاعر العراقي :

تلك المطية لا ما كان يذكرها — اديب ذبيان من عيرانة النيبم
لوامتطاها لبيد (الشعر) تاه بها — على الحواضر قدما والاعاريب
ولااطال ابن‌حجر وصف منجرد — على السراة كميت اللون يعبوب

وكل الاصطلاحات في الحياة الحديثة يمكن التعبير عنها باللغة العربية مثل : الصور المتحركة (للسينما) والصور الشمسية (فتوغرافية) السيارة . الطيارة . القنبلة الذرية . وكل الاصطلاحات الطبية واكثرها من عمل الاطباء العرب العظماء وكذلك الفن والادب والعلوم وكل مباهج السيدات والرجال يمكن التعبير عنها بالعربية. بينما تحتاج اللغات الاخرى الى استخدام كلمات مصنوعة وغالبا ما تضر بروح اللغة. فان باللغة العربية نجد في اصولها كل التعابير التي تحتاجها وذلك بالاشتقاق وامتداد المعاني.

في هذه الحالة نعود فنقرر ان اللغة العربية تمتاز بموقفها ولا تحتاج ان تستعير تعابير من الخارج وما عليها الا ان تبحث في كنوزها اللغوية ومرونتها تجعلها صالحة للتعبير عن كل شيء .

الشاعر الكبير حافظ ابراهيم يقول :

انا البحر في احشائه الدر كامن — فهل سالوا الغواص عن صدفاتي

وانه لفضل عظيم للمجمع اللغوي المصري انه اكتشف هذه الطبيعة الفريدة للغتنا العربية النبيلة وبمساعدة العلماء والنقاش الدقيق بعثوا اللغة وحموها من الانحدار على السنة الجهال واضافوا الى غناها بالاشتقاق الذي قبله اعضاء هذا المجمع الموقر وبذلك جعلوها مرة اخرى ملكة اللغات كما كانت منذ نزول القرآن الكريم ومدى القرون الوسطى الى يومنا هذا

واخيرا : اقدم عظيم شكري لحسن استماعكم وطول صبركم على سماع خطابي المشوب بلكنتي الاجنبية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الكريم جرمانوس

صرخة واحدة ..! الغيوم على سفح السماء الغربي كالشعر المهلهل على جوانب راس اصلع.. أشعة الشمس بين تلك الغيوم كالنار المشتعلة في عوسجة خضراء كثيفة.. بدا صرخة واحدة في اسفل الضيعة ثم ارتفع هديره عندما تحرك ليسير الى الاعلى !

اسرعت اليه كما أسرعت كل امراة ، كل رجل .. انه لا يزال يرتفع .. لا يزال يتسع ، وهديره لا يزال يتعالى .. كل امراة ترتجف رعبا .. كل امراة تخاف ان يتجه الى دارها ..

احيانا يتوقف .. رجل واحد فقط يركض باتجاه مخالف ... الصبيان يحشون انفسهم بين الرجال ثم ينبذون الى الجوانب كالقش الذي ينبذه التيار ..!

« لا يزال حيا ... اسرعوا به الى البيت... اذهبوا اكثر من واحد... استدعوه بالتليفون ... ضعوه في ظل شجرة ... انه لا ... »

تجاوز منتصف الضيعة ... البيوت التي مر بها كلها مفتحة الابواب ... سألت كما يسأل الذين يصلون متأخرين، ولكن النهر لا يردد الا الهدير : « اسرعوا .. احملوا .. ارفعوا الكتفين.. دعوا الراس مستويا مع الصدر » ولم أعد ارى...اندفق النهر في البيت ... توقف عن المسير ولكنه لم يتوقف عن الهدير ..!

افقت ..! الشمس غاربة ... مصباحان لاول مرة في البيت ، شعلتهما حمراء كاللسان... رجلان يتلوان السور ، ورائحة بخور حادة ... امه ، شقيقاته ، انا واطفاله الى جانب فراش ... ورجل ، رجل كان يمشي منذ ثلاث ساعات ممدد ، ولكن لا شيء يبدو منه ..!

الام تبكي نهاية ... شقيقاته يبكين الم الموت ، أطفاله يبكون الحياة كلها ، وانا ــ انا وحدي أبكي الماضي بالاضافة الى ما يبكون جميعا ...

لم يكن ذلك الماضي بعيدا ... فقط خمس عشرة سنة ، فالزهرة ما دامت في الحديقة لها كل ما للازهار الاخرى ، ولكنها عندما تقطف فقد تصير في راس عروس كما قد تصير على قبر ..! وفي مصير الفتاة كثير من مصير الزهرة ، لا بد لها من مكان اخر غير المكان الذي تنبت فيه ... وقد يتطلع اهلها الى ذلك المكان قبل ان تتفتح ، وبعدئذ قد تقع نظراتها في غير المكان الذي وقعت فيه نظرات الاهل ... وكان الاجداد ومن بعدهم الاباء قد أكلوا شيئا من الحصرم ، فتفرقت به الضيعة الى ثلاث حارات تحمل كل واحدة اسم العائلة التي نشأتها ، وكل عائلة تتنافس مع الاخرى بعراقة الاصل، بقوة الرجال، ثم بكثرة المال ، وهي لذلك اولى



بالسيطرة ... وكان علينا نحن الابناء ان نضرس بذلك الحصرم ، ان تقع عيوننا حيث تقع عيون الاباء ، ان نحب ما يحبون ، ان نكره ما يكرهون ، ولكن تحت التيارات الكبيرة تجري التيارات المعاكسة ...!

كنت حتى ذلك الحين الانثى الوحيدة التي سبقت ولدين ، جاء احدهما من حيث جئت ظهرا وبطنا ، وجاء الثاني من ناحية واحدة ... وكان لي اكثر من حب .. أحبني ابي كشيء جميل يحبه كل من يراه ، وأحبني بالحب الذي رفضته أمي اذ استطاعت أن تمنع نفسها منه بعد أن عجزت عن منعه من الزواج بامرأة



اخرى ... والحب الثالث كان اعجابا ليرفع به من شاني في اعين الاخرين، كما يفعل الكثير من الاباء ، ولكن الحرج كان يزداد في الموقف ــ موقفي انا . كنت أعانيه وحدي ولا استطيع اظهاره ، اراه امنية واراه حسرة في وقت واحد ... انه جيل واحد ولكنه منقسم الى شطرين : شطر ، وهو الاكثر ، يعيش في الضيعة يعمل فيما ورث عن الاباء .. وشطر ثان نال نصيبا من التعليم ، ثم طار بذلك الجناح الصغير الى المدينة ليستكمل ما بدأ فيه ، وقد طرح حتى الزي الذي يرتديه آباؤه ... وصار كالعصافير لا يلم بالضيعة الا في الصيف ... وفي الوقت الذي بقيت فيه مع الشطر الاول اعمل بالميراث نفسه رايت لي جناحا .. وكانت تتردد في نفسي اشياء حسبت اني اراها في النوم .. ولكن عندما انظر الى وجهي وأتأمل قوامي اجزم بان هذا حقيقة فالجمال يستطيع ان يغلب المال ، كما يستطيع ان يغلب العداء الذي يشبه الطحلب يبدو كالنبات ولكنه بدون جذور ... لم يبق اذن الا شيء واحد ، طلب العلم، هذا كل ما يرفعهم عني ، فهل درجة واحدة تعد عقبة ؟..

كانت السنوات تجري كالماء في النهر ... يجري في الليل وفي النهار دون حساب ، دون ان يتبادر الى الذين يعيشون حوله بانه سيجف قريبا او بعيدا ... ولكن الناس لا ينامون على شيء فأفقت عليهم يعدون لي الاعوام ولاترابي يعدون الاطفال ... وكان علي ان اسير وانا لا ازال في مفرق الطرق ...

انها طرق ثلاثة .. الاول يخرج بي من الضيعة ولا شيء يبدو عليه . والثاني يبقيني في البيت لاموت حيث ولدت .. وهذا الذي اكد لي بأن الجناح الذي توقعت منه كل شيء لم يكن اكثر من جناح دجاجة . ولم اذكر الثالث وانما سرت فيه ليس لانه أرضاني ، بل لان علي ان أسير..

لم يكن طويلا ... انه في الضيعة نفسها ولكنه ليس المكان الذي وقعت فيه نظرات اهلي ولا المكان الذي وقعت فيه نظراتي انا ... أن قطرة الماء التي تتوقف عن المسير ترسب في المكان الذي لا ترضاه ... وكل ما قاله ابي انه صاهر الشخص الذي يجده كلما احتاجه وكل ما قلته انا اني لم اخرج على رغبة الاهل ... والذين راوا في ذلك ما لم يكونوا ينتظرون لم يشكوا باني سأكون سيدة البيت التي لا بد للزهرة من الانتقال اليه ...

وكنت زوجة حيث تزوجت لا حيث كنت أتوقع ... زوجة رجل يداه وقدماه مكسوتان دائما بطبقة من الوسخ ، رجل كان يقضي شطرا من السنة حيث يجمع مع امه ومع ما تبقى من اخواته الذرة واللوبياء والبصل للمؤنة ونسيت اني ابنة رجل هاجر اكثر من مرة الى البرازيل ، فكان تاجرا هناك وكان تاجراً في الضيعة هنا ، لفترة غير قصيرة ولكن هذا الرجل اعتبرني شيئا اخر ...

كان الولد الوحيد بين بضع شقيقات ... مات ابوه وهو صغير فأرادت امه ان تجعل منه الابن والاب في وقت واحد ... وشقيقاته أردن كذلك ان يجعلن منه الاب والشقيق معا . اطلقت الام يديه في البيت فهو صاحب السلطة المطلقة في كل شيء ... ثم مضت الشقيقات كل حسب نصيبها وجئت انا فوضعني موضعهن جميعا في تنفيذ الاشغال التي كن يعفينه منها ... والام التي كانت لا تعارضه في بناتها صارت تشجعه على ضرب كنتها ، ثم تقول :
« ولكن ... هكذا الرجل ..! »

هكذا الرجل ! لا يشعر بالمسؤولية من اي نوع ... لا يأتي الى البيت الا في اوقات الطعام ... لا يأتي الا ليضربني ليري الناس بانه حقا الرجل الذي تفخر به امه ...

وكانت الخيبة الثانية ... الذين كانوا يحجمون عن طلب يدي تهيبا فتحوا الان اعينهم ليروا القمر الذي كانوا يتطلعون اليه في السماء ، ليروه وهو يطرح في الارض كالحجر ويداس كما يداس روث البقر ... وفتحوا أفواههم بالشماتة . والعصافير التي كبرت ما زالت تأتي في الصيف ولكنها نسيت شجرة البطم التي كانت ترفرف فوقها ... ولم يقولوا : « يا ضيعتها في النار التي تحترق فيها ! » كما قالوا يوم زفت اليه : « يا ضيعتها في هذا الوسخ ... كيف يرقد في فراشها ..! »

ومرة أخرى كنت على مفرق الطرق ... وكانت ايضا طرقا ثلاثة : أولها ان اعادي اهلي لان ابي الذي رأى انه تنازل عن كثير مما اراده لنفسه ومما اراده لي ، كان ينتظر أن تقدر له هذه النعمة التي آثر بها اقل اقربائه شأنا ؛ هذا الاب صار يتدخل لسوء المعاملة التي القاها .. ولكنه لا يملك الا الطريق الثاني وهو ان اعود الى حيث كنت وأبقى فيه بدون حياة . وفعلت كما فعلت في المرة الاولى تركت الببيتين معا وذهبت في الطريق الثالث كما تذهب البرتقالة في النهر ..!

الشمس تخيفني .. انها تقترب من الغروب .. لم اكن وحدي كان معي النار والماء ولكنه لا يدفيء ولا يروي الظمأ ، لم استطع تركه كما تركت الاب الذي كان الماضي ، ولم استطع طرحه كما طرحت الزوج الذي كان الحاضر المنكشف عن لا شيء أنه المستقبل ، اكل لاجله بعدما رايت نفسي لا تستحق الطعام .. انه صغير ولكنه يحميني من نظرات الذين اراهم فالبرتقالة الطافية في النهر في متناول اي يد تراها .. وعندما كنت ارضعه كان ينظر في عيني وفي نظراته أرى نفسي .. ارى وجهي فاهم بالتقامه لاتخلص من وجهي ، ولكن الفم لا يجرؤ على ازدراد الماء والنار اللذين عجزت عن طرحهما اليد . انه طفلي الاول . انه الكتاب الذي أقرأ فيه كل شيء ، فاشعر بالقوة واشعر بالضعف ، امتليء بالحقد وامتليء بالحب ، اريد الموت واريد الحياة في وقت واحد .. وهكذا كنت ملكا لاكثر من شيء مع ان شيئا واحدا لم يكن ملكي .. !

انني اشتمه تارة واراه القيد الذي يشدني الى الوراء ، وتارة اقتله واراه الحرية التي تدفعني الى الامام ... وهو الاخر اكثر من شيء واحد .. انه الموجة التي تهددني بالغرق وهو أيضا قارب الانقاذ .!

التفت الى الوراء في كل لحظة من النهار ، وكلما ابصرت شخصا ظننته اباه جاء يسترجعني لاجله .. فاقف او اظنه ابي جاء يسترجعني انا ويطرحه هو فاسير الى الامام . وفي الليل .. في كل لحظة من الليل احلم بهاتين الحالين معا ، فاضحك اذا ما رايت اباه هو ، وابكي اذا ما رأيت ابي انا .. وكذلك كان ليلي ايضا اكثر من شيء واحد .. كان ضحكا وبكاء ، وكان امنا وخوفا .. وهذا الطفل ما زال ماء ونارا معا ..!

بضعة شهور .. توقفت البرتقالة كان ذلك في بيت زعيم العشيرة الذي كان الى عهد قريب يرفع اليه كل امر ، ولكن لم اسأله شيئا ، وانما اكتفيت باللجوء الى بيته الكبير ... اشتغل كل شيء ، لاتلقاء اللقمة التي كنت اعطاها بكثير من الاشفاق ، في كل مكان اطلبها ، وانما لقاء المأوى الدائم الذي يستطيع ان يجدني فيه كل من يهمه امري ...

هناك اخذت الشمس تخيفني كلما اشرقت .. انها ، بالنسبة لي ، لاتفعل اكثر من القاء الايام الميتة على راسي ، وعلي ان اتحمل النتن والاثقال . وتركت حساب الايام فقد كثرت وطالت .. صرت كالذي ازدادت ديونه وهو لا يزال يعيش في الدين ، فيخاف ان يلمس الارقام ، ويخاف من العيش . ومن حين لاخر كنت اشد على اسناني كاني اقفل راسي واعماقي حتى لا تتسرب الي تلك

الفكرة ... ما اشبهني بالضبع المشدودة بحبلين ، لا تهاجم ولا تستسلم ، لا تستطيع الافلات ولا تترك فتركن للاستقرار ...!

ولكن طفلي اخذ ينظر في الوجوه . وجوه الرجال الذين يدخلون ذلك البيت ... صار يقول « بابا » لكل داخل في ذلك البيت ، فكانت الكلمة التي أفرغت قلبي من الدم ، وراسي من الهواء ، وانكسر القفل .. كسره الطفل ، وكما اكلت لتدوم له الحياة رجعت به ليعرف اباه اذ قد يكون هو نفسه مفتاحا لذلك الباب . ولكن كان شيء اخره ، فما رآني حتى قال: « رجعت الكلبة ... هل انقطعت عنك الكسرة .. عودي من حيث اتيت»

كان هذا القول قذفة شرسة بالبرتقالة الى عرض البحر .. حيث لم أعد احس من وجودي الا الازيز كاني اغلي في قدر كبيرة، وتارة احس نفسي تعصر كالثوب الذي يراد تجفيفه بسرعة، واحيانا كاني في هوة سحيقة ، وعدة انهار تتساقط في جوانب تلك الهوة . اشعر بكل تلك الحالات في كل لحظة من مدة دامت خمس سنوات ، وكل سنة كانت جيفة كبيرة تلقى علي !

كنت أظن بان الدموع قد نفدت ، ولكنها تدفقت بغزارة لخبر طاريء.. ماتت امي فكان الانسان الوحيد الذي كان يبكي لاجلي .. ماتت وتركت لي دموعها .. فمن ابكي بها ؟ مسكينة لقد كانت تعيش مع ضرتها كالاجيرة ..رفضت نصف الرجل ، ولكنها ظلت تعيش في بيته .. لقد ضربها مرة ، ولكنها كانت ضربة موجعة .. كانت امرأة اخرى ، وهذا اوجع ما تضرب به المراة . ولكن .. هكذا الرجل ..!

نصف عام اخر .. لم اعد انتظر ان يسترضيني الاب ، لقد مات هو الاخر متأثرا بالسجن الذي ساقه اليه زوجي واحدى شقيقاته مدة ثلاثة أشهر . وقد يتبادر الى اي شخص ان اموت انا ايضا ، ولكن ما صرت اليه كان اشد مفاجاة ... كما قد يتبادر اليه شيء قريب .. وهل اقرب من ان يزداد كرهي للذي تسبب في قتل ابي ؟ ألا ان التيارات المعاكسة فعلت شيئا اخر . فالزوج شعر كأنه قد ازال كل شيء عن راسه .. جاء يمد الي يده .. لم يذكر شيئا مما مضى وانا ايضا لم اذكر شيئا منه كانه لم يكن .. لم اشعر كما شعرت لاول مرة باني قد نزلت الى اسفل السلم عندما تزوجته،وهو لم يعد يشعر بانه يحمل ذلك السلم على راسه ليعوض الدرجات التي نزلتها اليه .. انه غير الانسان الذي تركته منذ سنوات .. البيت لايزال في مكانه ، ولكنه هو الاخر نموذج جديد في البناء ، كان الانسان يتغير عندما يغير بناءبيته، اويتغيربتغيره.

اسباب العيش التي وجد عليها اهله متغيرة ايضا ، لم يعد ينتظر مواسم الذرة واللوبياء في الشعرة التي تمتد الى الشمال من النهر الكبير الجنوبي .. الارض التي يملكها في الضيعة بالاضافة الى تربية دود الحرير ، وشيء من اشجار الزيتون ، أقل من ان تفي بالحاجة بالرغم من العرق الذي نصبه فيها ، تقف بالانتاج عند حد ، بينما كنت انا اضع الطفل الخامس ولا اقف عند حد .. امه لا تزال حية ، احدى شقيقاته التي تزوجت اكثر من مرة ، لا تفتأ ترجع من آن لاخر لتقيم عندنا مع طفل لها لم يكن بد من اخذ ارض بالمزارعة .. ثم اقتناء قطيع من الغنم .. ثم اقتناء بغلة يقوم هو بالشغل عليها بعد ان عهد بالقطيع الى راع ، وبالارض الى حارث بالاجرة... امتلأت الدار .. وقبلها كان قد امتلأ البيت .. ثم امتلأت الافواه بسيرته هو، بعض يقول بان الشخص يخلق خلقا جديدا كل فترة من حياته . بعض ثان يقول بان دخله يزيد على الثلاثة الاف ليرة في السنة بعض ثالث يقول بان ديونه تزيد على الاربعة الاف ليرة . ولم استطع ان اطلع منه على حال واحدة ، فهو كما قيل فيه ، يحمل كل شيء في راسه لا يفضي لاحد بشيء ، ويضع كل ما معه في ثيابه التي لا يخلعها حتى في النوم ، ولا يبدل بعضها حتى يبلى . لم اسأله عن شيء ... بل اكتفيت بما يقال فيه ، ورضيت ان اكون سيدة امر فلاحا وراعيا ، كما رضيت ان اكون مزارعة يأمرني صاحب الارض بما يشاء ..!

رضيت بالتفرج على هذا الرجل .. انه لا يخلو من الغرابة ..افرحني بالقطيع الذي تكاثر تكاثرا مدهشا في سنوات قليلة . ثم اخذ يموت بالمفرق وبالجملة حتى فني كله في شهر واحد . اعتبرت هذا كارثة ، ولكنه هو لا يعرف التوقف عند الكوارث .. اخذ يتاجر بالدجاج البلدي والرومي .. انه كالمقامر الذي يجره الربح القليل الى الخسارة الكبيرة . انه يرغب في الشراء ويتباطأ في البيع ، ولا سيما عندما تاخذ الاسعار بالهبوط ، وهو لا يزال ينتظر الارتفاع ، ولكن الوباء يحل بالدجاج كما حل بالقطيع ويموت دون ان نعتاض منه الجلود التي كانت كل ما اعتضناه من القطيع ...

وانتهى من هذين النوعين الى ضمان الزيتون .. فكان اكثر غرابة ... ان العادة المتبعة ان يكون الضمان قبل شهرين او شهر واحد من الجني وبعد تقدير دقيق لما تحمله من الثمار ولكنه هو كان يعقد الضمان في صميم الشتاء ، قبل ان يكون هناك دليل على خصب الموسم .. بل كان احيانا يعقده في السنوات التي يكون فيها الثمر قليلا .. فالزيتون كالمراة لا يخصب ، في الاغلب ، الا مرة واحدة كل سنتين .. وهكذا كان كما قيل فيه ، كالذي يشتري السمك وهو في الماء ..!

كان الاخرون يضحكون من تصرفاته ..وكنا ، امه وأنا ، نلومه اشفاقا عليه . كان يسكت عنا كما كان يسكت عن الاخرين ...

ويزداد غموضا ، والكلام يزداد فيه اختلاطا ..!

وفي هذا الصيف رجعت شقيقته التي صار من عادتها ان تترك طفلها لدينا ، من الكويت ، وهي الاخرى كانت غامضة ومتناقضة .. ثيابها مهلهلة ، ملامحها كالسنبلة اليابسة قبل ان يتكون فيها الحب ولكنها تكلمت بارقام اسالت لعاب الكثيرين الى تلك الارض المتدفقة بالذهب ، كما قالت فيها ، وجعلتهم يخفون اليها باي وسيلة ... ثم توجهت الينا الانظار بقوة ، فقد اشيع بانها اعطت شقيقها ثلاثة آلاف ليرة ، دون ان يعرض لاحد التساؤل عن صحة هذا المبلغ ، فهي لم تقض هناك الا سنة ونصف السنة ، والمقبول في الكويت كما كانت هي نفسها تقول ، هم اصحاب الحرف ، واسباب المعيشة غالية ، فماذا كانت حرفة امرأة تجاوزت الخمسين عاما ؟ وماذا كانت تأكل ؟ هذا ما لم توضحه هي وهذا مالم يتساءل عنه الاخرون كأن المنطق والمال لا يجتمعان ..!

شيء آخر كان متوقعا ، ولكن بهذه السرعة .. فقد قتل ابن عمه بحادث سيارة ، وعادت الينا نصف املاكه .. اذ كان هو الاخر الولد الوحيد في بيته ، وقضى ثلاثين عاما مع زوجتين دون ان يعقب ذرية ..

صار كل شخص يقول فينا : « ربحت الورقة الثانية ! » وكثرت الافواه التي تتكلم تحت الماء ، فتثير الحركة ، ولكنها لا تفصح . ونحن ، او انا بالذات لا ازال كالذي يأكل لحما في المنام احس بالانزعاج ولا احس بالشبع ..!

لا ازال في ذلك الصيف .. الخصب في كل المواسم كان معقود الراية للذرة البيضاء ، حتى ان المزارعين ضاقوا بوفرة ذلك الانتاج ، ولم يعودوا يأكلونها خبزا ، بل صاروا يدعون خبزها بالاسمنت ، وكانوا يطرحونها للدجاج فلا يلتقطها .

كانت تعرض بارخص الاسعار فلا تجد شاريا ، وكان زوجي يسوؤه ان تعرض سلعة ولا يوجد لها مشتر ، فراح يشتريها بالكميات الكبيرة حتى ملأ علينا البيت .. وقيل فينا : يا من يشتري الهم عن صاحبه ..! ورأيت ذلك هما حقيقيا ، وصرت اعيش بين هموم الناس جميعا ، ولكنه هو ظل السيد ، يستأجر الفلاح ، وظل العبد يأخذ الارض بالمزارعة ، وظل التاجر الذي يشتري هموم الاخرين ، كما ظل الضل من الذي يشتري السمك وهو لايزال حيا في الماء ، وكذلك ظل الغني الذي يحمل المال وهو مثقل بالديون .. ظل سخيا في بيته سخاءه في غموضه .. ولم ارد منه الوضوح ، فقد احببت حتى غموضه .. كان ذلك يدعوني للتفكير فيه ، كمايدعو الاخرين لاكباره . كان عظيما في ذلك الاختلاط وكان عذبا في ذلك الضياع .. يخرج من البيت فلا يقول الى اين يخرج ، وقد يكون في البيت فلا يحدث ما يدل على وجوده .. تسألني امه عنه فلا استطيع اخبارها بشيء .. واسألها انا عنه فلا تجيب ايضا بشيء .. واذا كنت اراه فاني اتجاهل رؤيته الاهذه المرة، فقد رأيته يخرج يقود البغلة ، ومن ورائه ابنه وابن شقيقته يحملان سلالا .. حدقت اليه حتى اذا ما توارى .. سألت امه :

الى اين يذهب محمود ، والشمس تكاد تغرب ؟

فردت بشيء من التضايق :

انا اعلم اين يذهب .. ألا تعرفين طبعه ، هل انت غريبة عنه ؟

نصف ساعة او اكثر .. انطلقت الصرخة ــ صرخة واحدة .. !

خففت اليها كما خف الاخرون .. نهر من الرجال والنساء والصغار .. هدير مختلط الاصوات .. بعض يستعجل السير ، وبعض يدعون لوضعه في ظل شجرة ونفخه بالماء .. اخرون يصيحون بالرجل الذي يركض باتجاه مخالف ان يسرع باستحضار الطبيب .. صوت واحد فقط ند من احد الافواه .. شعرت بالبصر يطير من عيني .. النهر الذي ارتفع من اسفل الضيعة واندفق في البيت ما يزال يردد : تسلق البلوطة .. ليقطف العنب .. احدى قدميه مصدوعة ..لم يبدأ بالقطاف .. تركت يده الغصن الذي تمسك به لتمسك بغصن اخر ، ولكنها لم تطله .. اليد الثانية تحمل السلة ... ارتجفت القدم المصدوعة .. ابنه ، ابن شقيقته فوجئا بسقوطه ... كان على صخرة كبيرة .. لم يصرخ هو .. صراخهما هو الذي استجلب الضيعة .. لا يزال يتنفس .. عيناه مغمضتان .. النفس ينقطع .. خزوه بالابر .. انشقوه بصلة مقشرة .. جاء الطبيب .. افسحوا له .. لا تبقوا في البيت .!

هدأ الهدير ..!

لحظة واحدة .. النهر متوقف ، ولكن الهدير ارتفع اشد ما يكون .. لقد اعلن الطبيب النهاية ــ نهاية الرجل الغامض ..

دمشق **يوسف احمد المحمود**

الشعر وكيف نتذوقه

بقلم عيسى ميخائيل سابا

زعم غير واحد : ان الشعر لحن فقط ، او انه صورة رسام خط بقلمه خطوطا رمزية ، ضمنها معاني عميقة لا يفهمها الا من اوتي عمق خيال ، ومسحته الهة الفن بريشــة سحرية ، تريه من مسحات القلم اشباحا مجسمة فيهـا المعنى الدقيق للخيال المجنح ، وانى ذلك الانسان الــذي تذفت به سكان عبقر من واديها المسحور ؟

والشعر عندي لا يفهم الا اذا كان فيه لحن وفيـه معنى متناغما مع الالفاظ والوزن والمعنى ، يتخلله خيـال بارع يقوم مقام الخطوط ، فاللحن وحده قـد يستهويك امام منظر خلاب ، ولا سيما اذا كانت حسناؤك الى جانبك تستمد منها فكرة بذبول عينيها وبسمة ثغرها وتثني قامتها المتمايلة غنجا ودلالا . ولكن اللحن قد يستفزك الا انـه لا يجعل في نفسك عمقا يهيب بك الى تبين الجمال والروعة كلما ذكرته ، ولماذا ؟ لانه نغم بدون معنى لفظي ، قـد تطرب النفس له ولكنه لا يشغل العقل .

واللحن قد يند عنك وتنساه ، واما الكلمـات ذات المعنى والصحيحة المبنى المنسقة تنسيقا حسنا، فهـي وحدها تستقر في صميم فؤادك ، وهي وحدها يتداعى معها الفكر الى حادث او منظر او حال يشبه ما استقر في لبك واستهواك .

والجميل جميل بنفسه كيفما قلبته وكيفما داورته ، فهو جميل يعلن نفسه بنفسه فلا يحتاج الى من يدلل عليه .

واذن ما الفرق بين قــول امين نخله :

عاش لنا الصبح ومـات المسـاء ... في الصبح القاك والقى الضيـاء
كـأن لطـف الله سبحانـــه ... زحزح عند الصبح ذاك الغطـاء

وبين من قال ، ولا أذكر من هو :

نعـم العـود المغنـي ... مـات من قبـل التظني
مـد في شاوه ولكـن ... ذاب فـي الـوقع المرن

فقائل هذين البيتين اراد ان يقلد ابن الرومي فـي فنه ، فند عنه وفاته التقليد ، وجاءنا بهذا الذي لا معنـى له ، فأي روعة اواي نشوة اراد ان ينتشيها « في العـود المغني وقد مات، وما معنى التظني ؟ وماذا يريد ان يقول؟»

واين هو من قول ابن الرومي القائل في وحيد المغنية :

مـد في شأو صوتها نفس كـا ... ف ، كانفاس عاشقيهـا مديـد
وارق الـدلال والغنج منــه ... وبراه الشجا ، فكـاد يبيـد
فتراه يموت طورا ويحيـا ... مستلذ بسيطـه والنشيـد
فيـه وشي وفيـه حلي من النغم ... مصـوغ ، يختـال فيـه القصيد
طاب فوها ، وما ترجع فيـه ... كل شيء لها بـذاك شهيـد

وأنه لمن الخطأ ان نقابل بين ابن الرومـي وبين ذاك الشاعر المجهول ، والجميل لايظهر ويتضح الا اذا قـوبل بما هو دونه ، ولامر ما قسم الاقدمون الشعراء الى طبقات فقالوا : الشعراء اربعة :

شاعر خنذيذ : وهو الذي يجمع الى جودة شعـره رواية الجيد من شعر غيره ، وسئل رؤبة عن الفحــول فقال : هم الرواة

وشاعر مفلق : وهو الذي لا رواية له ، الا انه مجود كالخنذيذ في شعره

وشاعر فقط : وهو فوق الرديء بدرجة

وشعرور : وهو لا شيء ، وقد انشد بعضهم :

يا رابع الشعراء كيف هجوتني ... وزعمت اني مفحم لا انطــق

وانشد اخر :

الشعراء فاعلمن اربعــه ... فشاعر لا يرتجى لمنفعــه
وشاعر ينشد وسطالمجمعه ... وشاعر اخر لا يجرى معــه
وشاعر يقـال خمر في دعه

وكأن هذا التقسيم لم يعجب شاعرا اخر فانشد :

الشعراء في الزمـان اربعـه ... فشاعر يجري ولا يجـرى معـه
وشاعـر يغوص وسط المعمعـه ... وشاعر لا تشتهي ان تسمعــه
وشاعر لا تستحي ان تصفعـــه

وقيل : بل هم ــ الشعراء ــ شاعر مفلق مطبــق ، وشويعر وشعرور ، والمفلق هو الذي يأتي بشعره بالفلق وهو العجب وقيل الداهية .

وعلى ما تقدم اقول : ان الشعر الذي يجمع الى روعة اللحن جمال المعنى وتخير الالفاظ ونعتها هو القول الجليل الذي تستلذه الاذن وترتاح اليه النفس ، وما دونه فهـو قول هراء فصاحبه من الطبقة الرابعــة ، لا تستحي ان تصفعـــه .

ومثل الشعر تذوق الخمرة المعتقة ، وهو على شرف مقامه لا يتانى الا للنفوس الواعية الموهوبـة ، تتلقى رؤى الاحلام من سماء الخيال ، فتلقي به على الارض انشودة حب ونشوة فرح ، فيها النغم والوزن والتشابيه المتنوعة والاستعارات والكفايات المنتزعة من نعومة النفس وفيض الخيال . فما كل جدول في الصحف شعرا ، ولا كــل نغمة لحنا رائعا ، اذ ليس كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء فحمـــة .

ولا ريب ان مجاراة الشاعر بفكره وخياله ، والغوص معه على معانيه يحملنا على مشاركته باحساسه حيث يتم لنا تذوق ما قدم من الحان فكره الموقع على اوتار مشاعره كقول ابي نواس :

اربعة يحيـا بهـا ... قلب وروح وبـدن
المـاء والبستـان والخمرة ... والوجـه والحسـن

وللامام الشافعي في كتاب « الام » قول مأثور قال : « الشعر كلام كالكلام ، فحسنه كحسنه، وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام ، انه سائر في الناس يبقى علـى الزمان فينظر فيه »

ضفر الظلال

⊙

ارصف الفاظا دخانية   في بعدنا المطلوب عبر الغد
ارصف موسيقاي منحوتة   حكاية من ضجر اسود
ارصف ربي والانا والهي   الدافئة الكثيفة الابرد
وانشر القلع بكفين لم   تغردا للقاحل الاجعد
وفي فمي .. وفي معاني فمي   احرث ارض الزنبق الاغيد

لم تهتفي ، لم تجمعي شارعا   في خطوة ، لم تفتحي معبدي
ظللت في اللاشيء ، في اللاأرى   بكل معولي وخصبي الندي
تجزئينني بساتين عينين   تطلان على الابعد
وتورقينني ازاميل انسان   جديد الفور لم يولد
فارتمي في حيرة فيئها   اني في المحتمل الجيد :
لربما بيتي لم يكتمل   قصيده الدافيء للموعد
لربما توسع عيناك عن   حلم فراغي بالغوى المسعد
فلنلتقي على يتيم الهوى   كيما نظل في الصدى المورد
وانت لا ظل فتى مترع   من قبلنا ، في قلبك المجهد

عرفت .. لم اغلق رموزي على   آملها المثقل بالعسجد !!

حلب   علي الزيبق

وقد قيل : ان الشاعر اذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه ، واذا رثى خفت على شعره ان يجري دموعا ، واذا استوقفت كلمته الناس زادتهم خشوعا ، واذا فخر اشتم من نفثاته رائحة الملك ، فحسبت ان الاملاك والمواكب حفت به ، بشرط ان يكون الكلام من القلب ، ومن تكلف الشعر على غير طبعه ، كان مثله مثل الاعمى الذي يتناول الاشياء ليقرها في مواضعها ، فيضعها في غير مكانها ، وهو لا يدري ولكنه يدري أنه نظم او ركب كلمات حسبها شعرا ونختم بقول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه   والشعر لا يسطيعه من يظلمه
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه   زلت به الى الحضيض قدمه
يريد ان يعربه فيعجمه

عيسى ميخائيل سابا

قصـــة وصفيـــة

حواؤه الثانية

بقلم سامي السراج

وهذه فتاة ثانية . وضعها القدر في طريقه ووضعه في طريقها على غير سابق معرفة . ثم تكرر لقاؤهما على انه مريض ، وعلى انها تحذق فن التمريض . فهل استحالت دفقات شعوره نحوها الى ما يصح ان نسميه حبا ؟ وهل استحالت رهجات انعطافها اليه الى ما يحمل مدلولات حب؟ لا ندري . ونحسب ان الحب نفسه لا يستطيع الاجابة على السؤالين بنعم او لا !

قصارى ما عرفناه من امره ـ انه أطبق فؤاده على هوى . ليلاه الاولى التي وقف عليها هتفات قلبه ونجواه .. وعبد في محرابها زهد الحب وتقواه . فما بفؤاده والحالة هذه اية اشعاعة نحو حب جديد .

وقصارى ما عرفناه من امرها ـ انها اطبقت فؤادها ، هي كذلك على هوى قيسها ، قيسها الاول التي شاءت انوثتها الطموح ان تنتزعه من غريمات نافسنها عليه فهامت به حتى اذا امالته احداهن عنها احرقتها الغيرة وكواها الجوى فما بفؤادها والحالة هذه مكان لسلوان .

اذن كان ثمة قلبان صريعان . افترق هواهما ووحد بينهما الجرح . فكان طبيعيا ان يأسو الجريح الجريح ، ما استطاع . وان ينتشل الفريق الغريق ، اذا قدر . وقد تواضعا على الاسو الجميل . تتجاوب فيه مصلحة قلبين . ولا تجاوزه الى مأمل في امتزاج روحين .

وتدانى القلبان الجريحان في ظل عشرة سمحة رضية لا مذاق لها الا ان يؤدي كلا الطرفين المتعاقدين ما عليه من التزامات للموثق المرسوم .. على قناعة بالذي تضفيه هذه العشرة الوفية من متاع ايناس واستئناس . ليس عنهما لذي احساس غناء !

ودرج عام وعام وهما متحصنان بارادتين عارمتين ، تمردتا على شتى الانفعالات الكمينة في غرائز آدم وحواء . وقد استطاعا ان يحيلاها الى غذاء من سناء ، وارتواء من ضيـــاء ! .

ولبثا طوال عامين ، على مقربة من مبعدة ، وعلى مبعدة من مقربة . حفيظين على موثق ابرماه ، وعلى ما ينطوي فيه من وفاء للحب القديم . الراحل المقيم !

انهما ارادتان . تلاقتا في عتو رفيق وجبروت رقيق فحققتا معجزة خليقة بالدراسة . رجل فياض الرجولة . يتمرد على نزوات الرجولة . وفتاة مفاضة الانوثة . تتمرد على رغبات البدن الظامىء الغرثان . نرى ذراعها لصق ابطه في مغدى ورواح . ونرى قلبه يخفق الى جانب قلبها في بكرة وعشية . يتلازمان اذا جلسا الى مائدة او عكفا يتسامران في خلوة . والطبيعة حالمة والليل ساج . شد ما تلهف عليه ان مسه طائف من ضر . وشد ما يلهف عليها ان عراها برم او ضجر . فاذا توارى احدهما عن صاحبه ساعات معدودات اما لقضاء واجب او اداء عمل ، احس الثاني في غيبته انه نصف بشر ... بينا كلاهما لا يرنو الى معسول . او مأمول .. وبينا كلاهما آب ان يخضع للعلامة الحمراء بين ماض سلف وحاضر مؤتنف . وكأنه يتغنى بقول ابن الملوح :

تسلى بها عن غيرها فاذا التي ... تسلى بها تغري بليلى ولا تسلي

قد يطيب لك ان تسأل ماجدوى هذه العشرة الجديب؟ ومن اية طينة بريء هذان الالفان ؟ وما اوصافهما؟ اماعنهما فهي فتاة في ميعة الصبا ممشوقة القد ناعمة اللمس . في صوتها غنة عذبة تستلين القلوب . وفي عينيها كحل وميل . بيضاء البشرة بياضا مشربا بصفرة رقيقة . أنثوية اللفتة والرنوة . دقيقة الملامح دقة تنبيك ان الملاحة اغلى من الحسن . يكسو محياها طابع حزين يشيع في اعطاف رائيه مشاعر دافئة من عطف ورثاء . ناحلة نحو لا يحمل انعكاسات قلب مضن الى وجه شاحب ، كان الورد من ازاهره قبل ان يحتله لون الياسمين . ذات شخصية نفاذة تنقض عليك بنفاثات من ضعف واستكانة . فتخضع لاوامرها ونواهيها في طواعية ولذة . ذكاؤها من النوع الحاد الجاد ، يرتب ويوضب . ويرسم ويبصم . فلا تجد مفرا من تقدير المعيته . لولا مزاج زئبقي تعنو الفتاة لسلطانه . فيفقد ذكاؤها كثيرا من لمعانه . هادئة هدوء الصحو يطوي وراءه عاصفة من غضب صامت حزين . تخترقه ولا تستعلنه فيجتر ما بقي في عودها من صبابة نسيج ليحيلها الى طيف من خيال . وعاصفتها لا تقصف . الا في اعماق جسدها الكاشح . وقد تدفع بها العاصفة المكبوة الى التواري عن النظر شهرا او اكثر . حتى اذا انجابت ثورة المزاج ، عادت الثائرة . راضية النفس باسمة الثغر كأن لم يكن شيء قد مر !

واما عنه ـ فهو رجل ذو تجاريب . موزع بين نفس قوية وقلب رحيم . وطبع جاف وحاشية رقيقة . مأخذ سهل وارادة حازمة . وغضب سريع وصفح سمح . وقسوة بالفة وشفقة شادهة . طابعه في الحياة ان يستهين بخطوب الحياة .. على مرح يبتديء مجعولا منحولا . ويحول طبعا اصيلا . يحاسب على الهنة الهينة ويتجاوز عن المساءة الكبيرة تلك لانها تمس قدس كرامته . وهذه لانها تعدو المساس بها . تغاليه فلسفات ساذجة هي غذاء روحه . فمن شذوذه انه لا يسترضي احدا يميل عنه بغير حق حتى يعود اليه

نادما بحق ... مهما يكن حبيبا الى قلبه ! ومن مفارقاته انه اذا خادعه انسان انخدع له على علم . فيستمر هذا في خداعه . وهو يستمر في انخداعه . وحجته « ان الكريم اذا خادعته انخدعا » . وهو الى ذلك بادي الوسامة والمهابة . عذب المنطق . حسن المفاكهة . يفرض احترامه عليك فرضا . تعترف به الاندية خطيبا مقنعا وكاتبا مبينا . ويعده قراؤه صاحب اسلوب . الويل لمن تستهدفه حملاته ونقداته في مجال السياسة . لا يغادر خصمه حتى يراه صريعا . اللهم اذا كان خصمه من الاقوياء العتاة . فاذا رآه هان واستكان . كف عن طراده . رحمة بضعفه وهوانه !

هذا نزر من اوصاف صاحبنا واوصاف فتاته، عرضت لها اشباعا لفضولك وتمكينا لك من دراسة قصتهما على بينة من شذوذ انسانين ما انعقدا على حب . وربط بينهما شيء اقوى من الحب .. والا فلم هذه الغيرة تلذع قلبه اذا جاملت جليسا . او ابطأت ساعة في غياب ؟ اليست الغيرة شعلة من لهب الحب . او دفقة من دفقات الرغبة في الاختصاص والتملك ؟ بلى انها كذلك . او على مثل ذلك ... ان لم تكن كذلك بالتمام ..

ويزيد الامر وضوحا ان قطار التطور انتقل بالفتاة الى المحطة الثانية . فخف ما بها من ولوع بقيسها الاول . وكف جفناها عن وكف الدموع مناجاة لطيفة في احلامها . بل راحت تستسلم الى نوم عذب مريح بعد ان كان الارق والسهد يساهرانها حتى مشرق الغزالة .

انه تحول لا ريب فيه . اذ اضحت الفتاة تنظر الى قيسها الاول رجلا عاديا . معراة صورته من هالة النور القدسية التي كانت تحيط بها لتجلوه في خيالها ملاكا. فما الذي دعا الى هذا التحول غير المنتظر ؟ وما الذي بدل سالبها بموجب ؟ اصحيح ان جذور الحب لا تندثر الا اذا نبتت على انقاضها غرسة حب آخر ؟

لعلها نظرية صحيحة . ولكن اغلب الظن انها هنا ليست كذلك . قصارى الامران محطة الارسال تتلاشى اهميتها اذا تعطلت محطة الاستقبال ! وان من طبائع الحياة مقاومة اليأس والتغلب عليه . وقد وجدت الفتاة في قيسها الثاني محطة للانتقال . فكان التحول . وكان السلوان . ولا اكثر من ذلك . ولا اقل . اما الحب فهاهوذا وراء الباب . ينظر اليهما في ادب وسكون . ومهمته ان يبارك الفتهما البريئة في استحياء !

• • •

ومشت بهما عجلة الزمن حولين اخرين . وقد خلت قصتها من عنصر المفاجأة . المفاجأة التي تفقد كل قصة مادة الطرافة والطلاوة اذا خلت منها . لولا ان المفاجأة برزت بغتة وعلى غير انتظار .

حدث ذات صباح . وكان صاحبنا وخدينته يتناولان طعام الافطار . ان نفذ من الباب شبح رقيق يخطو خطو ظبي رشيق . فاذا بالزائر هو ليلى . ليلى الاحلام . تقبل بعد جفوة تسع سنين كوامل ، لم يقطعها خيط من اتصال . وكانت ليلى تتشح بالسواد حدادا على البعل الذي لم يطل في دنياها المقام فجاءت محمولة على اجنحة الحنين نحو الف قديم . صبر وقدر . ولم تبدله الغير . ذكرت فيه رجلا انشأها ورعاها وابنعها وانماها . دلفت اخيرا تتفقد حطام قلبه وتتلمس ان يأسوها في بلواها. فكان اللقاء لقاء اشتد له فيه ثلاثة ــ صاحبنا وخدينته وليلاه . فكان من حق هذا المشهد ان يكون مثيرا .

لقد كان طبيعيا ان تنقلب ليلى الكبيرة ليلى الصغيرة التي اعتادت ان تجري نحوه فتطوق عنقه ليطبع على جبينها لثمات برئت من كل شيء الا من مأثور عطفه وحنانه ثم كان طبيعيا ان يتلقاها كليلاه الصغيرة . فيضمها الى صدره ضمة تمثلت فيها معاني النبل والاشفاق والرثاء .

لكن كان طبيعيا ايضا ان ينبه في الخدينة ، وقد رات هذا المشهد ، ذلك الاحساس الغريزي الذي يثيرها اذا واجهت اخرى تستطيع ان تنتزع منها رجلا ثبت وده وصدق عهده ، ولو لم تكن قد اكنت له حبا . لذلك فرت الى حجرة ثانية ترسل دمعها الهتون في نشيج مكبوت حرصت على الا يسمعاه . وقد انستها الغيرة انها احد طرفي الوثق المرسوم الذي بصمته ووقعته والذي باركته صحبة ثلاث سنوات ، وقف الحب خلالها وراء الباب ، لا يحترم الحدود .

نسيت الفتاة كل شيء الا انها امراة ، امراة من غرائزها التملك والاختصاص ، زمن عهدها الا يدوم لها عهد . وقد المعنا في صدر القصة الى ان منشأ حبها الاول نفاس مع غريمات زاحمنها على الحبيب فازدادت به ولوعا وعليه حرصا . اذ هي من النوع العنيد الذي يكره الهزيمة، ويغرم بالنصر الذي يؤتاه اكثر مما يغرم بالحبيب لمزاياه ..

ولعل صاحبنا درس سكولوجية خدينته هذه فكان يتحاشى طوال عشرتها اثارة غيرتها فيستبعد كل فتاة من طريقها ويتظاهر امامها بالنفرة من كل امراة في الوجود كيلا تحطمها الغيرة على حبه ، وكان هذا خبثا منه مقبولا اذ كان صاحبنا :

بصيرا باعقاب الامور كانما ... تطالعه من كل امر عواقبه

كان يخشى ان تحصبه خدينته بحب جارف عنيف يحاكي حبها الذي شفيت منه او تكاد. وكان خلال عشرتها يوالي دراسة طبائعها على مألوف عادته في دراسة طبائع الناس وخصوصا طبائع النساء ، فله في موضوع النساء خواطر ونظرات اكتسبها من دراسته طباعهن ومن تفرسه في ملامحهن ليعامل كل واحدة منهن بما يتلاءم ومزاجها الخاص او نفسيتها المتميزة . وهكذا وضع خدينته بطلة

القصة في اطار يستوعبه حيز صورتها المرسومة في ذهنه رسما دقيقا .

لكنه الان امام مشكلة .انه يواجه عقدة نفسية خلقتها المفاجاة . لقد صرم الزمن حباله مع ليلاه الاولى . فهي غارقة في همومها واحزانها مغمورة فيما خلفه زوجها الراحل من زحمة المشاكل . وفتاته الثانية فتاة لا امتراء في أنها مأمونة الصحبة طيبة العشرة حسنة المنشأ . ذات نصيب واف من الثقافة وادب الاجتماع . وهي الى ذلك تحسن علم التمريض . وشد ما يحتاج الى علمها هذا في حياته المنفردة وقد اخذتها الان كظة من الحرص على ان تقطع طريق عودته الى ليلاه فتعلقه بالزواج منها .

كانت قبل ذلك لا تبرم بالسمار يقضون معه السهرة في لعبة الشطرنج فتلوذ بغرفتها لتطالع كتابا وتنام باكرا ، حتى اذا اقبل الصباح دلفت الى غرفته تحمل القهوة ليشرباها معا في انس وود . فامست تكره السمار وتأوي الى حجرتها لتقضي الليل ساهرة ارقة ، ثم يدركها الوسن قبيل الفجر فلا تصحو الا بعد انصرافه الى عمله وقد تقرح جفناها .

ماذا الم بالفتاة . لقد تكرر المنظر . انه يرى من حجرته خيطا من نور ينبعث من اسفل باب حجرتها فيدل على انها ساهرة . انه يتجاهل خيط النور فينام راثيا لها وعاجزا عن كبح ثورة طماحها .

• • •

ها هي ذي تمسك بكراسة يجري عليها القلم في تأن وهدوء كأنها تزن كل كلمة ترقشها . بالله ماذا تكتب في خلوتها الساجية وقد غفت العيون وساد السكون ؟ هل نستجيز الكراسة لتطالع ما فيها ونعيدها الى مخبأها ، والسرقة غير محللة ؟ اذن لندعها تكتب وتكتب وهي آمنة رصد العيون .

وجاء وقت استجزنا فيه الاطلاع على مضامين بثها ، وعلى ما نفثته في السطور من ذات نفسها ، فاذا به يوميات متسلسلة ، تكشف عن انفعالات شتى تتناوح عليها مطبقة بصبغة الساعات التي تمر بها والتصورات التي تلامسها . وقد عنونت اليوميات باسمه الصريح « سمير » على ثقة من أنها لن تقع بين يديه . واليك بعض هذه اليوميات :

٣ تشرين الاول

ياحبيبي . انني اشعر اليوم بالسعادة اذ رايتك لا تنظر الى غيري ، وتصورتك ترى فيها .. حبك الاول وغرامك البعيد .. ولكنك لا تؤثرها علي .. ولعلك تجد بي ما لا تجد عندها . انني اليوم سعيدة . وسأحبك ما حييت . ولتفعل بي الايام ما تشاء

٤ تشرين الاول

عزيزي سمير ــ أنني خائفة من المستقبل . انه مظلم وقاس . آه لو قرأت افكاري اذن لوجدت العجب آه لو عرفت الذي اخشاه . انه يوم الفراق ، ولا ادري ان كان بعيداً او قريبا . اعرف أنك ستسأم التي هي طوع بنانك الان ، فتتجدد قصة غرامي الاول ، ويعلم الله ماذا يكون مصيري اذ ذاك .

٥ تشرين الاول

هذا يوم من اياس ايام حياتي. اكاد اقتل نفسي.اشعر اني تعسة شقية . ان قلبي يهب بي ان اظل بجانبه ولو وطاني بقدمه . لكن عقلي يحثني على الهرب منه والابتعاد عنه قبل ان يحل الفراق . لن انتظر حتى امثل قصة غرامي الاول. سحقا للرجال. وللحب. بل سحقا لقلبي الذي سيوردني موارد الهلكة .

٦ تشرين الاول

يا حبيبي . كلكم سواء .. انني اعجب كيف تتلذذون بطعم الفاكهة المحرمة ، فتجاهدون للحصول على كل شيء بعيد المنال ، ولا تستعذبون التي تصبح دانية القطوف ، لانها قريبة المنال . يا للعجب !

٧ تشرين الاول

اود ايها القلب ان احطمك . فاصبح حرة طليقة . دعني اهرب . لماذا لا تساعدني على الفرار ؟ الا يكفيك ما عانيت من قبل . وما اعاني الان ؟

٨ تشرين الاول

عزيزي . لا ادري ماذا اكتب . اني مرتبكة اليوم . ولا اعلم ماذا انا فاعلة غدا . النتيجة التي انتهى اليها تفكيري هي الاعتراف بان التجربة كانت فاشلة . وان عيشنا سويا في منزل واحد لن يجلب لك السعادة ، بل بالعكس يجلب لك الشقاء والالم . ولن يرضى ضميري بذلك . اراك تتعذب كل يوم ، بل كل لحظة . فاغفر لي عدم قدرتي على ان اهبك واهب نفسي السعادة . اني اتعذب الان لاني سافارقك . سارحل آسفة لهذا الرحيل. كنت اظن ان هذا المنزل اخر ما افكر في مبارحته . لقد هدت قواي . ولكن .. ولكن ماذا ؟ لا اقول سوى اني تعسة . سأرحل وأنا انتزع نفسي . ومعي طيف الحبيب، ومعي الله في شدتي ..

١٠ تشرين الاول

عزيزي سمير . انتظرت ان تأتيني بجديد يجعلني اطرد ما في ذهني من اوهام . وجدتك قد اعتصمت بحجرتك انت الاخر وفضلت الامر الواقع على ان تصرح لي بالذي انتظره بفروغ صبر . اعلم انه ليس سهلا ان اكون بجانبك وانا كالغريبة اتعذب في حجرتي ولا اذوق طعم النوم . انتظر كل لحظة ان تأتي لتزيل ما بذهني . انني لن استسلم بعد

الان لقبلاتك البريئة . فكم مرة منعت نفسي في قسوة وعناد من ان ارتمي في احضانك . أظن ان حياتنا هذه ستحطم اعصابنا . ولا اصدق ان سببا من الاسباب يمنع من ان تبت بالامر . فاذا كنت حقا لا تريد فراقي فحدد موعدا لتريح اعصابي ، فارجع الى طبيعتي المرحة . اماااذا وجدت العكس ، فليسامحك الله وليتداركني برحمته . . حاشية — عزيزي انا لا اقصد من تصرفاتي معك الاالتمسك بك وطمأنة حياتي معك فلا اكون مزعزعة الخاطر خائفةمن المستقبل . وأنت تعلم ان الزواج هو رسالة المراة فيالحياة فلماذا تحرمني من حلم كل امراة وليس هنالك شيءيمنعك من ارضائي ما دام كل شيء بيدك ؟

١١ تشرين الاول

الرجال كلهم منافقون كاذبون . انهم ليسوا اهلا للثقة، الغني منهم والفقير والمتعلم والجاهل كلهم سواء ! آه ايها القلب ! كم أود الا يكون لك سلطان علي . ياله من مستقبل مخيف ! ان يوم الفراق آت لا محالة ، وسأجعله بنفسي قريبا ، لان سميري الحبيب اصبح لا يطيق البقاء في البيت ولا يطيل الغياب هربا من كآبتي التي لا استطيع اخفاءها . اذن ساغادر البيت غدا وقلبي في احتراق .

١٥ تشرين الاول

سمير : انك وحش كاسر . لقد قرأت اليوم كلمات سطرتها في مفكرتك التي نسيتها على المنضدة وهذه هي بحروفها : « أيتها الشقية الظالمة . انك غدوت مصدر الامي بدل ان تكوني مبعث الهامي . حاولت ان اجعلك في برج من نعيم . لكنك احلته الى ما يشبه الجحيم . كم قلت اني موضع هواك ومحراب نجواك ، وانك سعيدة بجانبي ، كنت أمجد عاطفتك واغرقك في فيض من حناني وتحناني . ولكني مالعتم ان أرى معارف وجهك تنم عن قلق وسويداء كأنك نادمة على انك اسلمت مشاعرك لهواي . اصبحت تكلفين بالعبوس والجهام بينا انا كلف بالمرح والابتسام . اصبحت تبرمين بكل شيء وتغارين من لا شيء . فهل هذا شيء يطاق ؟ نعم انك رقيقة مهذبة ، لكنك قاسية متعبة فما سبب غيابي عن كوخنا الهادىء الجميل الا أنت . . . والا ظنونك وهواجسك . لكم كنت هانئا بعشرتك الوادعة العطوف . ولكم عنيتك اذ كنت اردد على مسمعك قول القائل :

لا بارك الله في الدنيا اذا انقطعت اسباب دنياي من اسباب دنياك

وكنت أضمر لك الخير كله ، فاتمنى ان يجيء يوم تختارين فيه زوجا يليق بك لاسلمك اليه ، مطمئنا على مستقبلك وحزينا لفراقك . وما ذاك الا لوجود برزخ بيني وبينك عرضه ثلاثون عاما اكبرك بها . . وبرزخ اخر هو انغماري في السياسة مدة الاعوام الثلاثين فاصبحت لي داء مزمنا لا شفاء منه . فكان حراما اي حرام ان اقرنك الى حياتي الشقية المفعمة بالمتاعب والتي لا تطيب لزوج مثلك هي في نضرة العمر

انك لم تفهميني رغم ذكائك ورغم دراستك دخائل نفسي مدة اربع سنوات . . فرحت تتهمينني باشياء من بنات وساوسك ابعد ما تكون عن تفكيري ، وعن ارادتي الخير لك . لقد أنفت استغل رغبتك الطارئة لصالحي واضرب بصالحك عرض الحائط ، وانا الذي افخر باني ما تركت نوعا من انواع التضحيات الا بذلته في سبيل الافراد والجماعات . ولكن من اخاطب ؟ أأخاطبك انت بهذا المنطق السليم الذي لا تحسن زئبقية مزاجك تقديره ؟ اخالك ستجيبين عليه بانه حجج منتحلة لابعادك عن طريقي فليكن ذلك . ان لك ان تذهبي مع الظنون الى ابعد مدى . أليس الفراق الذي تتحدثين عنه هو المصير ؟ سألزم قلبي ان ينساك . وسألزم كوخنا الجميل ان ينسى عصفورته التي كانت تملؤه بالبهجة والانس وتصدح في ارجائه باعذب الالحان . ان الحانك حبيبة الى قلبي . لكني اخاف عليك من شقوتي . اغار عليك من ظلمي ، اذ اقرنك الى نفسي بدل ان نقرن الى من هو اجدر بك مني .

انا اعرف ان فلسفتي لن ترضيك . وستتوهمين انها ذريعة للتخلص منك . لا والذي وهبني ارادة من حديد وقلبا من حرير ، ما هي بذريعة وما هي بخديعة . انما هي قولة حق لا شية فيها . وان اخشى مااخشاه أن اهيئك لتتشحي بالسواد بعد مدة وجيزة من جلوة العرس ، اذا دعاني داعي الوطن الى الفداء فسارعت الى تلبيته دون ابطاء لابذل النفس في سخاء .

أنك لن تفهمي ، أيتها الذكية ، حرفا من كلامي . ولكني افهمه انا حق الفهم . فلا عليك اذن ان ترحلي ما دام الفراق هو الفراق . « س »

١٦ تشرين الاول

سمير : قرأت سطورك مرات ومرات . لا اظلمك اذا وصفتك بانك وحش ضار . لانك فظيع فظيع ، والى ابعد حدود الفظاعة . انك تحاول ان تظفر بالمزيد من حرصي عليك وشغفي بك ، بوصف أنك رجل لا كالرجال . . لكنني استطيع ان ادرك ميولك تمام الادراك . انك تؤثر الانتحار فيما تسميه ساحة الشرف من اجل شيء واحد ، هو الخلاص مني . . لا لا . لا تذهب الى الميدان . . انني ذاهبة عنك . سارحل متى انبلج الصباح ، وسأشقى من اجل ان اسعدك . سأغادر البيت قبل ان تفيق . ألوداع .

ورحلت الفتاة في الغداة ، فكان الفراق . وكأن لم يكن من قبل تلاق .

حمـــاه **ســـامي الســـراج**

بيت المقدس

اطل البدر من ستر الدجى يرنو باشفاق
وراح يسائل الظلماء في لهفة مشتاق
امن قبس النبوة في حياك ثم من باق
وهل من خمرة الاسراء كأس في يد الساقي
وانت غضيضة الجفنين ممعنة باطراق
كشيخ شفه الاعياء من نصب واخفاق
وللانسام غمغمة ال مشوق وبوح عشاق

غفوت على رؤى المعراج مطبقة باحداق
فشعت من سنا التذكار آفاق باشراق
وضاعت منك اودية باعراف واعراق
وكم سم بازهار واطياب بأخلاق
وصفق خافق من نشـ ـوة غردا لخفاق
ولاح لغابر علم يشع بحمر أطواق
تراثك غابر أن قيس مجد فتى بأرزاق

اكنت غفوت للتذكار ملوية بأعناق
وهل اشجاك من (حطين) رجع صدى لابواق
وهل شاقتك الوية بها نصت لعملاق
دم ما زال وابله على دمن وآفاق
وكم جثت باطباق ثوت ومنى بأطباق
وحلم مات مختضرا باكباد وآماق
هواجس لم تزل تدوي بارعاد وابراق

أراك وجمت كالمشدوه شاخصة بأحداق
اكان شجاك مبعثه حزازات بأعماق
وهل شفك ان اضحت ربـاك حمى لفساق
اسيت لمربع عبثت به شذاذ آفاق
وليس به فتى يحمي الذمار وليس من واق

وقفت أسائل الظلماء عنك بدمع أشواقي
امن (حطين) نور سنا يشع لعين مشتاق
فأومأ غابر واهل تاريخ باشراق

دمشق — عدنان مردم بك


شفيــق طبــاره

انـــا والاوسمة

بقلم شفيق طباره

انا ممن يمقتون الاوسمة وانظر اليها نظرة الولد الى لعبة جديدة يلهو بها ساعة ثم ينساها . وان انس لا انس ايام كنت تلميذا في الجامعة اليسوعية اهب لزملائي التلامذة ما تجود به علي ادارة الجامعة فيزينون بهـــا صدورهم ويتباهون بها امام الناس .

وليس يزعجني اليوم شيء بقـــدر رؤية الاوسمة على صدور المتباهين واشد ما يلفت نظري مـــن امر الحكومة اللبنانية ومن لف لفها من الحكومات التي قطعت شوطا في مضمار الحضارة انها استرسلت في توزيع الاوسمة بسبب وغير سبب حتى كدت احسب امام هـــذا الابتذال بـل الفوضى في الانعـــام اني اعيش ــ ولا مؤاخذة ــ في عصر تشبه عقلياتاهله طفولة التلاميذ .. ولعلهذا ما دعا احد النواب اللبنانيين الى القول : اذا دامت الحال على هـــذا المنوال فسأكتب على بطاقتي وتحت اسمي (لبناني بدون وسام) ... على سبيل التمييز .

وان احب الامم الى قلبي فيمـا يتعلق بنزعة الاوسمـة تلك التي زهدت حكوماتها بالاوسمة وبالالقـاب ولا سيما التي لا تجتمع مع الحقائق في صعيد واحد فعافتالاوسمة وحظرت حملهـــا واقتنائها . فشعوب هذه الحكومـات ديموقراطية والديموقراطية الصحيحـة تقضي بان يكون الجميع سواء في الحياة الاجتماعية فـلا تفاوت بين الرعية باعتبار ان افراد الامة جميعهم متساوون فيالمنزلة ما داموا متساوين في الواجبات والحقوق .

وانه مهما تكن الاوسمة صادقة في التعبير عن الاعتراف بالجميل وبتفوق ذوي المـواهب فهي على كل حال آفـة تتسلط علىغرائز الناس فتحرضهم على الازدهاء وتدفعهم الى الغرور والخيـــلاء والفطرسة . وهذه الشوائب مـن المفاسد المكتسبة التي يسعى علماء الاخلاقالىاستئصالها .

انظر الى جماعة الحيوان فان افرادهـــا لا تأبه للمظاهر ولا تستهيم بها وهي لا تحمل علامات فارقة ترفع بها الى ما فوق اترابها . فلئن شاهدت قطيعـــا من الغنم ورأيت ظهورها ملطخة بدمغات حمراء وزرقـــاء فاعلم يا رعاك الله ان في هـــذه الدمغات لشيئا من الشبه فيمـــا يميز بعض الناس عن البعض الاخر وان يـد الانسان ــ لا الحيوان ــ هي التي صنعت هذه الممايزة . ثم اني لارى الانسان طفلا مهما كبر ومهما قويت مداركه واتسعت معارفه وان شئت فانعناصر الطفولة لا تتركه مهما تباين فيالاجناسوالاذواق والاعمار .

فمنذ ان تغلغلت المـــدنية الغربية في مجاهل افريقيـة اقتبس الزنوج من الاوروبيين عادة حمل الاوسمة فصـار زعماؤهم يعمدون الى علب السردين الفارغـة فيقتطعون الصور المرسومة عليها ويخيطون بهـــا بطاناتهم وما زالوا يزينون بها صدورهم وصدور عمالهم شأن حكـومات هذا العصر تزين صـــدور خلصائها فيستأنس بها المتلهفـون ويشعرون انهم اميز من النـاس واعظم شأنا . ولا بـدع فالطبيعة البشرية متماثلة والانسان اينما كان هو الانسان .

وعندي ان الاصل في النياشين هو الازدهاء لا الفائدة . والازدهاء غريزة في الانسان مازجت طبعـــه واصبحت تقليدا من جملة التقاليد التي يتوارثها الخلف عـن السلف من قديم الزمان . فاذا كـــان في انتشار الازياء نوع مـن الظرافة والتسلية فلنزعة حمل الاوسمة سيئات كبيرة . فكل الفوارق الخارجية التي تميز بعض الناس عن غيرهم لها تأثيرها النفساني الفعال . فعمر بن الخطاب خلـع عن نفسه لباسا رومانيا فخما لانه شعر منه بخيـلاء لم يشعر بها من قبل وعاد الى لباسه البدوي حتى تعود اليه بساطة نفسه فلا يوصف بادوات التشبيه . وعلى هذا القيـاس يمكن القول ان الاوسمة من اقوى العوامل التي تبعث في الانسان الاعجاب بالنفس وتغرس في الناس الحسد وتفسح المجال بينهم للتنافس البغيض . ولا مشاحة في ان الوسام مهما كبر وعظم لا يرفع شأن حامله وانما قيمة الرجل بمـا

في داخل صدره وداخل راسه وليس بما يحمله على صدره ولا على راسه . قال الشاعر :

قيمة الانسان ما يحسنه   اكثر الانسان فيه ام اقل

اضف الى ذلك ان الرفعة والمجد في تمام الرجولة وسمو الاخلاق لا في سمو المركز ورفعة الرتب وعدد النياشين .. والاختبار يثبت ان الاوسمة كلما كثرت تبـــذلت وفقدت قيمتها وقل اعتبارها واصبحت رخيصة كالسلع المعروضة في سوق الخضار !

واعلم يا اخي ان الايام تعمل عملها وأن للزمن اثرا ينطبع في العقول ويجعل المألوف بمنزلة المعقول وان كان بعيدا عن العقل . فالانسان لو فكر في الاوسمة تفكيرا جديا لمهـــا واستهجنها ولكنه حين يألف الشيء يتغاضى عن غرابتـــه فبعدما كانت الحكومات تهب الاوسمة للاحياء شرعت في هذا العصر توزعها — بالعافية — على الاموات ... بل حدث ما هو اعجب واغرب فقد منحت فرنسا بعد حرب ١٩١٤ وسام جوقة الشرف الذي يقضي مرسومه بتعليق الوسام بالرقبة اقول منحت فرنسا هذا الوسام لطير زاجل مـــن حمام البريد لانه خدم فرقة استطلاع عند حصار مدينـــة (فردون) . واحمد الله على ان ليس عندنا في دوائر البريد حمامة ... اذن لهرعت حكومتنا كعادتها في التقليد ورأى اهل هذا الجيل الاوسمة مدلاة في اعناق الطيور ...

ومن العجيب الغريب ان طريقة منح الاوسمة لم تقتصر على الاحياء والاموات والطيـــور . فبرج (ايفل) البرج الطويل الهيبل ... يحمل اليوم وساما لانه — على ذمة القائلين — صمد في الحرب الماضية وصمد معناها لم ينهدم او اذا شئت لم ينهزم امام اعداء الجو المهاجمين ...

ومنذ عهد قريب اهدى وزير المعارف في فرنسا وسام جوقة الشرف الى مدرسة الفنون في باريس لا الى اساتذتها البارعين ولا لتلامذتها الشاطرين بل علقـــه على جدران المدرسة وتوخى الوزير الفرنسي بـــذلك الاقتصاد وهو بدلا من ان يوزع على اساتذة المعهد وتلاميذه مئات الاوسمة عمد الى هذه الطريقة المختصرة في الاهداء فجاء عمله آية في الدعابة والتنكيت ...

اقترح : ان تقتدي الحكومة اللبنانية بالحكومات التي ابطلت الاوسمة كما ابطلت الالقاب وان تستعيض عنهـــا بالجوائز المالية . ذلك لان الانسان كلما ارتقى قل اعتباره للزينة ونظر الى الفائدة . وان قال قائل ان للاوسمة منافع ادبية ورمزية فاجيب ان هذه المجـــاملات التقليدية لـــم تنقرض بسهولة وانما تطورت خلال العصور تبعا لاختلاف الامم وتفاوت الاحوال والعادات فكانت عند اليونان الاقدمين اكاليل ، وعند الرومان اسلحة فما يمنع الحكـــومات ان تستعيض في العصر الحاضر — عصر المادة — الذي يحس الناس فيه حاجة ملحة الى المال بالجوائز المالية وتعتبر على الاقل بحكاية الاعرابي الذي اهـــدى اليه جمال التركـــي السفاح الوسام المجيدي العثماني الرابع ولما كان الاعرابي على شاكلتي لا تبهره المظاهر ولا يهتـــم بسوى الحـــقائق الراهنة سأل الضابط الذي حمل اليه الوسام من غير كلفة :

— كم يساوي هذا الذي يبرق يا طويل العمر ؟

فأجابه الضابط :

— ليس للوسام قيمة مالية بل ادبية ولكنه على كل حال يساوي خمس ليرات ذهبية لانه من الذهب الخالص .

فأطرق الاعرابي اطراقة طويلة ثم قلب نظره في الوسام ووزنه بيده فراى ان لا يترك الضابط يعتقد في نفسه انه مغفل فقال له :

— اني لا اطمح الى المزيد فاربع ليرات تكفيني وهي خير لي من هذا والله يبارك لكم فيه !

هذا ما خطر لي عرضته بصراحة واخلاص وان خالفني بالراي فريق من القراء واني لم اقصد فيما ابديت التعريض بأحد من ذوي الرتب وحملة النياشين ولكني قصدت نقد نزعة تقليدية فشت بيننا حتى بلغت غاية الابتذال .

شفيق طباره

العيون الخضر

عيونك الخضراء ارجوحة
ترف طيبا فوق خد اسيل
واحة غيناء كم لوحـ
للتائه الظمآن بالسلسبيل
كأنما خداك رمضاؤهـــا
ودونها الاهداب ظل ظليـــل
كم طاف قلبي حولها سادرا
يود لو يهدى سواء السبيل
يظل من اجفانهـــا حائـــرا
وليلـــه داج طويل طويـــل
كهائم في البيـــد لاحت لـــه
منازل الاحباب خلف النخيل
عيونك الخضراء ارجوحـــة
يشدها بالشمس خيط الاصيل

وديع ديب

اغـــاديـــــر

⊙

«اغدير» خطبك هــزني وشجاني ... واطار حلو النوم عن اجفـــــاني
اطرقت حيرى في وجوم ذاهــل ... انا معــا في الخطب مشتركــان
انت الشقيقة ملء قلبي حبهـــا ... فــاذا الم السوء هــز كيــاني !
أو آهـــة مشبوبة صعدتهـــــا ... اصلت احاسيسي لظى النيـــران
واذا عيونك من اساهــا امطــرت ... قـــلبي يئن للوعـــة الاحـــزان
واذا سعـــدت تفتحت نفسي رضا ... حالي وحالك في الهوى سيـــان
عربيـــة ، قوميـــة ، وطنيـــة ... قاسيت ما قاسيت من عــــدوان
وصمدت للاحداث لم تلن القنـــاة ... وصمــدت يــا أختــاه للطغيــان!!
القى السلاح المعتـــدي لمــا رأى ... تصميمنــا والعــزم في ايمــان !
لمــا رأى وعيــا يزلــزل عرشــه ... عرش الردى والظلــم والبهتــان
لما علا صوت العروبــة منـــذرا ... هيــا : اخرجوا من أقدس‌البلدان
هيـــا : دعوا خيراتنا ، ونعيمنـــا ... للاهل ، والاحفاد ، والاخـــوان
انا ورثنـــا الارض عن أجدادنـــا ... ولسوف تبقى الارض للولـــدان
فلتتركونـــا ، للبناء ، وللعـــلا . ... تبني الصروح سـواعـد الشبان
لا تشغلونا بالحروب ، فانمـــا ... نهوى السلام ، مــوطـد الاركان
نهوى السلام،اجل !! ولكن حينما ... نلقى البغــاة ، نثور كالبركــان !!
من يبغ سوءا سوف يلقى حتفه ... بيــد الابــاة ، محرري الاوطــان
لا تيأسي اختــاه ، انا ها هنـــا ... فاذا أشرت ، فنحن رهن بنـــان
ما المال ؟! ان المــال شيء هيــن ... ان قيس يا اختــاه ، بالوجــدان
لك في نفوس العرب مــا يوحي لها ... فيض الرضا ، والحب ، والتحنان
لك‌اجمل الالحان ، يزجيها الهوى ... في عزة ، وقداسة ، وتفــــان
ما انت الا قطعة مــن روحنـــا ... بنت العروبة ، ان شانك شانـي
ما انت الا قطعة من قلبنـــا .. ... معنى وحسا ، اننـــا اختـــان
نمشي عــلى نور الاله وهديـــه ... لنعيد ما قــد زال مــن بنيــان
سنعيد مجــدا للعروبة شامخــا ... يبقى على الايــام ، والازمــــان
فعزائم كالصخر حفت بالمنـــى ... سنعيد روض بهائـــك الفينــان
وستشرقين على الــورى فتانـــة ... رغم الذي صنعت يــد الحدثان !!

مصر الجديدة ... روحية القليني

دعاة البعث في الادب العربي

نشر في عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ من مجلة الاديب

بقلم كرم ملحم كرم

يطلع القرن التاسع عشر على الناس والثورة الفرنسية تمعن في التثقيف والهداية. فتلتهب شعلة في باريس لتضيء الدنيا على رحبها ، فكأنها اضطرمت لتحرير الدنيا من الجهل والاسترقاق والمذلة .

ولقد استيقظت العقول على مهزة ، وايقن ذوو الادراك انهم يملكون تفكيرا حرا ، وان للرأي ان يعلن دون ما خشية من فتكة طاغية ، ولا رهبة من عقاب زنيم .

وفي مطلع ذلك العهد ، عهد النور ، انبثقت ايماضة في الوسعة العربية كتب لها المقدور ان تظل على وهج كالمنارة . وهتفت القوابل في وكر وديع في كفرشيما ، المنبطحة في رمال الساحل اللبناني كدمية اتعبتها مكافحة الامواج ، ان الشيخ عبد الله اليازجي رزق غلاما ميمون الطلعة . وسئل الاب عن اسم يخلعه على الوليد فتمتمت شفتاه في نشوة الغبطة : « نصيف ! »

ولم يكن القرن التاسع عشر قد حبا من عشه . فهو لا يزال حديث العهد بالانفاس يطلقها على مدى ، وبالنور ترف فيه أهدابه وتنغمس عيناه . فالتاريخ لا يبرح يكتب مجاليه في الصفحة الخامسة والعشرين من شهر اذار لسنة الف وثمانمائة من عهد المسيح .

وآل اليازجي من حمص يدينون بالمذهب الارثوذكسي . ويمم في اواخر القرن السابع عشر فريق منهم لبنان ينعم بطيب هوائه وسيل مائه . والظافر في لبنان من يعصمه منصب ويحتمي في ظل الولاة . ولقد انتجع احد اليازجيين في منتصف القرن الثامن عشر عمال الدولة العثمانية فوكلوا اليه امر المكاتبات في دواوينهم . ومن المأثور عن اليازجيين جمال الخط على وشي وتنميق ، مما خلع عليهم لقب « اليازجي » وهو في اللغة التركية الكاتب وتوالوا في الدواوين ، الابن بعد ابيه ، وانتهى بهم المطاف الى كفرشيما وقد جهروا بمذهب الروم الكاثوليك .

وما استقروا في كفرشيما الا والقرن الثامن عشر على وشك الذبول . فمال والد الشيخ نصيف ، وهو عبد الله بن نصيف بن جنبلاط اليازجي الى ممارسة الطب لكسب قوته وقوت عيلته . وفن الطب انتقل اليه من رهبان الشوير ، والبلاد العربية تخلو من معاهد للطب ينهل منها يومذاك الطلاب رشفات العلم ، فالممارسة مصدر كل فن وحرفة . وبلغ عبد الله من حرفته مبلغ الحذق ، فشاقه ان يقتفي ابنه نصيف خطاه ، وان ينصرف الى التطبيب يضمن به مقامه ومعاشه .

فالطبيب ، هذا العالم باسرار الجسد ، المنكب على الاسقام يبريها ، ملك لدى الناس شأنا رفيعا واحتراما وازنا . وعبد الله اليازجي خبر الامر بنفسه وهو يحترف الفن ، فلماذا لا يرث ابنه نصيف عنه حرفته ، فيعيش في وفر واجلال ؟

وجزم وأبرم . نصيف سيكون طبيبا يجتث الداء ويشفي الالام . واعده ابوه لعلم الادواء . بيد ان الفتى أدركته ، وهو يأخذ الطب عن ابيه ، حرفة الادب . ونشأ على غرار اسرته في جودة الخط وزخرفته . فنظم الشعر وهو يحمل المبضع . وجلس في حلقة الزجل يطرب المسامع فيما يداوي الاجساد .

وابوه لم يكن غريبا عن الزجل والشعر . ومن هو الغريب في لبنان عن الادب ، متعة النفس ، وكل ما في لبنان يهيج الحس ويجنح العاطفة ؟.. فالحارث في حقله ينشد الشعر ويروي اخبار الزجالين ونوادرهم . والقروي في اعالي الصرود يغني ويعطيك ، وهو لا يدري معجزات البيان . والراعي فيما يقود مواشيه الى المروج والادغال يطالعك بانفس المعاني في أصح الاوزان . افلا يكون نصيب اليازجي ، ابن لبنان ، وقد نشأ في بيت نبض بالعلم والادب ، شاعرا يتذوق ثمار الخيال وذوب الاحساس ؟

وتأدب الفتى على القس متى الشبابي . ولمس فيه مؤدبه الميل الى الادب وقرض الشعر فأضرم فيه الجذوة المتحفزة . وحدثه عن فحول الادب في ذلك الحين وما بلغوا من سؤدد ومجد . ولم تبرح قصائد القس حنانيا منير ومقاماته طربة المجس ، طنانة الصدى ، فهي حديث الناس . فأقبل عليها ابن الشيخ عبد الله اليازجي يحفظها ويرويها . وحفظ للقس حنانيا قصائد من الزجل وهي بضاعة ملأت يومذاك لبنان وقد تدفقت غزيرة

كسيوله ، عذبة كمائه . وراى الفتى مراى العين الحظوة الناعم بها نقولا الترك وبطرس كرامة لدى الشهابي المقدام، الامير بشير الثاني ، فحدثته النفس بان يكون في ديوان ابي سعدى يتمتع بمثل جاه الشاعرين ونفوذهما الوطيد الركن ، البعيد الاثر .

ولن يكون ذلك الاديب المرموق ان هو لم يتقن لغة قومه. فاتقنها بمطالعة خيرة المؤلفين . واذا مسته الحاجة الى كتاب ضاقت به يده بحث عنه في الاديار وجاء به ينسخه بخطه الجلي القسيم . فنسخ القرآن ، وديوان المتنبي ، ومقامات الحريري ، ومؤلفات القس حنانيا منير ، وقبيلا من نظم العهود المنسلخة والآخذة بالانسلاخ . وحفظ كل ما نسخ لا تفوته منه كلمة وهو الايد الحافظة، النقي الذهن

وما توانى في ما اراده عليه ابوه . دعاه الى التطبيب وهو ذلك الطبيب . الاانه طبيب شاعر وقد جمع أصول الطب في ارجوزة « الحجر الكريم في أصول الطب القديم » ولم يكن بد من هذا السجع في العنوان وروح العصر يقتضيه

وحفظ نصيف التواريخ وكاد يكون فيها حجة وقمة . وشاقته الموسيقى ، والشاعر يميل الى الطرب ، فزاولها والم بها ، غير ان صوته خانه في ادائها فصدف عنها مكرها أسيفا .

وجرى فيه الشعر على سماحة الطبع وسلاسة الفطرة. فلم يكن متكلفا ولا نحاتا كانه على ينبوع سلسال . ولقد تحفز للنظم وهو لا يعدو العاشرة . وران فيه الادب على الطب فطمع في ان يبلغ من زمنه ما بلغ الترك وكرامه . هذا هدفه . يريد ان يكون كاتبا في ديوان !

وتبسمت له هذه الامنية لدى البطريرك اغناطيوس راعي الروم الكاثوليك ، ولكن اين جاه البطريرك من جاه الامير بشير ؟..

فاقام لدى صاحب الغبطة سنتين ثم عاد الى كفرشيما يكتب وينظم . فالشعر الصافي بدا يجيش في نفس الشاعر ا رجيل .

وانطوت نفسه على حنين الى بيت الدين مثوى الشهابي الضخم وفي الرابعة والعشرين من عمره جنح به حنينه الى الاشادة بفضل الامير . وكان الشهابي قد ظفر بالشيخ بشير جنبلاط ولوى شكيمة الثورة المستفحلة في الشوف فأنشده اليازجي :

يهنيك يهنيك هذا النصر والظفر — فانعم اذن انت بل فلتنعم البشر

فاطمأنت نفس الامير وسر بالفتى النجيب على ان الامنية لم تنعم بالجلوة . فقعد نصيف على نارها اربع سنوات يصلى بحرقتها . ولم يصبر على طول الحرمان فطفر الى بيت الدين يحادث في امره الترك وكرامه . فشفعا فيه لدى الامير واحتل مقامه في ديوان سيد لبنان .

وبقي نصيف في خدمة الشهابي اثنتي عشرة سنة ، من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ يوم دعي الامير الى استانبول يلقى فيها مغبة نصرته لابراهيم باشا المصري على الدولة العثمانية .

فانخلع الشيخ نصيف عن بيت الدين ولم تطب له السكنى في كفرشيما ، فاعتصم وعيلته ببيروت يبحث فيها عن موارد رزقه ويطلق في جوها مواهبه الفائرة .

واين موارد رزقه ؟.. في التعليم . وكانت ريح العلم في مطلع هبوبها . فالمطبعة عرفت طريقها الى الشرق وراجت سوقها على مباراة وزحام . مصر تنافسنا بمطبعة بولاق وكتبها . والاميركان واليسوعيون ينافسون بعضهم بعضا في طبع التوراة والاناجيل وكتب العلم . والى من تتجه الانظار في السبق ؟.. الى فارس يجلي في المضمار.

ولقد اتجهت الى الشيخ نصيف رجل الساعة . على ان الشيخ تولى التعليم في المعهد الوطني لمنشئه المعلم بطرس البستاني صاحب «محيط المحيط» وفي المعهد البطريركي للروم الكاثوليك . ونهج نهج ابن مالك في الفيته فجمع الصرف والنحو في ارجوزتين « الجمانة في شرح الخزانة » و « نار القرى في جوف الفرى » . وتعددت تآليفه في هذا المنحى فانشأ ارجوزته « لمحة الطرف في اصول الصرف » ومختصرا نحويا نثرا هو « طوق الحمامة » وارجوزة « الباب في اصول الاعراب » ، وانتهى الى كتابة « فصل الخطاب في اصول الاعراب » وقد جمعه نثرا ، وهو فصل الخطاب حقا في الصرف والنحو .

فتعاظمت مكانة الشيخ ، ولم يجد الاميركيون لهم عنه غنية . فدلفوا اليه يستعينون بمواهبه على النهوض بمستوى اللغة العربية في معهدهم . واصابوا من تفوقه اللغوي حاجتهم بان عرضوا عليه ترجمة الكتاب المقدس لينظر فيها ، مع ان ثلاثة تظاهروا عليها ، عالي سميث وفانديك وبطرس البستاني .

ولكن الشيخ ما اشتفى . ففي نفسه اشياء . لقد لجت به معجزته اللغوية في صوغها بمظهر اوفى لمعانا واقرب ملمسا . وكيف يجلوها ؟ بالمقامات . فلن يكون القس حنانيا منير ونقولا الترك اطول منه باعا . وشمر عن ساعديه واهتدى بهدي الهمذاني والحريري . وما انثنى الا وهو يطوي ستين مقامة حفل بها « مجمع البحرين » .

بل ان للمقامات حكاية اوفر نضرة وطرافة . فالشيخ نصيف بانحداره الى بيروت ضمته الجمعية السورية اليها . وهي عصبة من رجال القلم والفكر والفضل تعودت ان تطلع على الناس بنشرات تختلج بالحكمة والادب والعلم. فنفحها اليازجي بمقامته « العقيقية » فلقيت الاعجاب والاستحسان ودعي كاتبها الى المضي في هذا الطريق الصعب المرتقى ، الريان الختام .

و « مجمع البحرين » ــ ولا جدال ــ كتاب القرن التاسع عشر في الادب العربي فكانه عنوانه الاوحد وثمرته الاوفى نضجا والاطيب عصيرا . انه لحجر الزاوية في البعث وليس من كتاب يضارعه في قوته وجدواه . فالبعث قام حقا عليه . ولا عبرة بالقول ان الهمذاني والحريري بلغا

المنتهى ، وان التابع يقصر عن اللحاق . فالهمذاني سبق الحريري في العهد ، فهل كسفه ؟.. وابن دريد كاد يسبق الجميع ، فاي نجم اطفأ ؟.. ثم أن اللغة في بعثها بحاجة الى قلم ثري بالالفاظ يشيد دعائمها ، فلم تجد غنى عن ساعد الشيخ نصيف تستند اليه وهي تمزق عنها الكف ، وتتشوق الى التمتع بالنضارة وطيب الحياة .

وانحنى علماء الادب واللغة وجيل الشعراء امام الموهبة المتلألئة . فأحسوا منها الفتح والابداع . واستوى الشيخ نصيف على اريكة الامامة وبات نظيمه ونثيره قبلة وهدفا. فكاتبه العلماء من كل فج وصقع ، وساجله الشعراء . وسمع به المستشرقون فتبادلوا واياه الكتب ، وطلبوا اليه موافاتهم بارائه ومقالاته . فأجابهم بهمة من اوتي رحابة الجلد وسعة العرفان . وفي رسالته الى المستشرق « ده ساسي » دليل ناصع على بسطة علمه ونفاذ بصيرته.

واضحى قطب اللغة والادب في زمنه . وهو المصدر والمرجع . وهام بالبيان فأدناه من الفهم في عقد «الجمان» ولف « الجامعة » على علم القوافي والعروض. وطبع ثلاثة دواوين من الشعر هي : «نفحةالريحان» و «ثالثالقمرين» و « فاكهة الندماء » . والديوان الاخير عرض فيه اليازجي مساجلاته وادباء العصر .

ومنزلة الرجل في ايامه تنبىء بها السطور النابضة في هذه الصفحات . وانطباعه على الشعر جعل احيانا من القريض رؤيا ترتسم في اجفانه المغمضة وهو ضجيج السرير فيهب من نومته ويكتب في الورق ما انزل في عينيه الوحي من رصائع المعاني والالفاظ.

فالشيخ نصيف خاض بحور الادب على انوائها وغوارب امواجها وامن الطرق . والربان الماهر لا يحفل بالخضم في ازدياده او سكونه . فانه ليدفع السفينة الى محجة الامان على طمأنينة رحبة وثقة غلابة . واليازجي علا في نثره وشعره وعلمه . فشبب ، ووصف ، ومدح ، ورثى ، وهدى بشعر جارى فيه ابا الطيب . وهو وان لم يبلغ سمو ابي الطيب فلم يتقهقر عن مراكز المبدعين. ولقد تلاعب بهذا الشعر كأنه ملكه . وماشاه القريض كأنه طوع يمينه . فاقامه الشيخ واقعده ، ولواه وطواه . ونزع منه عيونه فابصر . وجاد عليه بهما فاضاء ، وقد تقاذفه بين مهمل ومعجم . فان تقرأ هذا الشعر شطرا شطرا وقعت في كل شطر على تاريخ . واذا جمعت اوائله حرفا حرفا وقفت امام ابيات من الشعر . واذا انشدته من أوله قرات شعرا . وان تبدأ انشاده من ذيله راعك الشعر. فالصنعة فسحت لها طريقا الى منظوم اليازجي . ولكنها صنعة دعا اليها حب التفوق ، لا جفاء الطبع السميح . ومع محاولتها لم يخرج شعر الشيخ نصيف من سلاسته ، الا أنه جهد مهدور قضت به روح العصر السائد ، ونزوةالغلبة المستعرة بها انفاس الموهوبين .

*

لم ترفق الايام بالشيخ نصيف في زمنه الاخير. فأقعده الفالج نحوا من سنتين في السرير وكان قد بلغ التاسعة والستين . وقبل موته باسابيع شاهد حبيبا ابنه البكر في قبضة الموت . فانطفأ في ٨ شباط ١٨٧١ لوعة على « حبيبه » وهو يبكيه بمرثاة لم يتمها وقد عصب جبينها بقوله :

ذهبالحبيبفيا حشاشةذوبي اسفا عليه ويا دموع اجيبي

ورفاته يستظل افياء مقبرة الروم الكاثوليك في محلة الزيتونة في بيروت . ونقش في رخام الضريح تاريخوفاته ابنه الشيخ ابراهيم . على ان الدولة العثمانية ابت فيالبدء نقش التاريخ وقد نعت الابن اباه بعلم الهدى . ثم رضيت بعد سنة عن النعت واجازت النقش والحفر .

وابناء الشيخ نصيف ثلاثة : حبيب وخليل وابراهيم ، كلهم ساهم في النهضة الحامل مشعلها ابوه ، حتى ان ابنته وردة استنارت بقبس الاب ودرجت في رحاب ادبه النضيد . وابنه ابراهيم خلفه في امامة الادب ، فلم يكن يجيز ان تقال في ابيه كلمة تند عنالطبع السوي. وتعصبه لهذا الادب مال به الى اصلاح كل هفوة منه ، وان سهوا ، تؤخذ عليه . فأعاد النظر في تآليفه ، وشرح بعضها واختصر بعضها . واتم شرح ديوان المتنبي ، وكان قد بداه ابوه ، وعزاه الى ابيه .

وشدة غيرته على ولي نعمته اهابت به ذات مرة الى الطعن على صديق له في مقال كتبه عنعظمة الشيخنصيف ان اليازجي هام بامراته ام حبيب . فرمى الشيخ ابراهيم المجترىء على هذه الرمية بمراجم القول . فان اما ارضعته لبنها لا يتناولها فم حتى بمديح . فهي كامرأة القيصر ، بعيدة عن الظن ، ارفع من ان تجيز للسان ان يتفكه بأمرها في مقال او حديث !..

وعن نصيف اليازجي اخذ المتأدبون . وسار البعث اشواطا في الطريق وهو يذكر قطب الدائرة من ارباب الفضل عليه باعجاب الكريم ، واحترام الوفي !..

كرم ملحم كرم

زوج للتجربة

بقلم ناشد سعيد

كان الجو حارا ، والعرق يتصبب مني بغزارة أثر صعودي الى الطابق الرابع في العمارة التي تقطنها اسرة خطيبتي . وما وصلت اخر الدرج الا ويدي تمتد الى جيبي لاخراج المنديل امسح به قطرات الماء المالحة التي تناثرت على جبهتي واسفل ذقني . وضغطت زر الجرس العالي ، وعدت الى تجفيف قطرات العرق .

اقتربت خطيبتي « عزيزة » من الباب تفتحه ، فقد كنا متفقين على اشارة فيما بيننا ، اضغط الجرس ضغطتين قصيرتين ، فتهرع هي لفتحه ، كي نختلس قبلة صغيرة عند الباب ، قبل ان ادخل مسلما على من القاه من اهلها .

ولكن اقترابها هذه المرة كان بطيئا ولم تهرع مسرعة كعادتها ، فازعجني ذلك ، وكان ان مددت يدي مرة وارخيتها ثانية الى زر الجرس وارخيها عليه، فارسل رنينا متقطعا، ما لبث ان ميزت منه صوتا ينبعث من الداخل من فم يقهقه

— على مهلك ، ثم انشق البابعنها وقالتضاحكة :

— ليش مستعجل ؟.

ونظرت اليها ، ثم اختلست نظرة الى الداخل كالعادة ، وعدت أنظر اليها دون ان اتقدم لاقبلها القبلة المعهودة . ولقد ادهشني ان لا اراها تتلفت هي الاخرى كما اعتادت ، كي تطمئن الى انه ما من احد يسترق النظر او السمع الينا . ثم قالت :

— ادخل ، لن نسرق القبلة هذه المرة سرقة ، فما من احد في البيت غير الخادمة ، وهي مشغولة بالغسيل داخل المطبخ ، وصوت البابور يمنع اي صوت من الوصول اليها .

وتقدمت منها احضنها دونما حماس فقد كانت قطرات العرق تبلل اكمام قميصي من تحت الابط ، وكنت منزعجا منها . وبعد ان فرغت من هذه المهمة قلت لها :

— هات آلي المروحة . فقالت :

— التعرض لتيار الهواء يضرك ، اخلع قميصك لانشره في الشرفة ريثما يجف ، وانت اجلس واسترح هنا .

وكنا قد وصلنا غرفة الجلوس . خلعت قميصي فتناولته مني وسارت به نحو الشرفة تنشره كيما يجف .

.. كانت المرة الاولى التي أتعرى فيها امامها ، ولم اكن واياها لنتهيب من ذلك ، فزواجنا سيتم بعد اقل من شهر ، ولكننا لم نكن نجرؤ على التمادي بعلاقتنا ، بسبب من تعنت اهلها وشديد حذرهم .

اقتعدت المقعد الطويل بجانبي ، وراحت تسائلني :

— الى اين ستذهب اليوم؟ — قلت لها والمنديل ما زال في يدي ، وقد غدا مبللا هو الاخر من العرق :

— لست ادري ، اني تعب على ما يبدو ، وقد اذهب لانام في البيت بعد ساعة . فقالت معترضة :

— اريد الذهاب الى السينما، هنالك فيلم رائع يعرض منذ اكثر من خمسة عشر يوما في سينما الدنيا ، وقد قالت لي صديقتي « فريحة » انه جيد . فما رايك ؟ واجبتها :

— حسنا ، سنذهب في المساء ، اما الان فهيا حضري لنا كاسا من الشاي فقد سمعت انه يرطب الجسم .

وهرولت جهة المطبخ تطلب من « فوزية » ان تحضر الشاي لنا ، وعادت الي وجلست لصقي ، وفهمت مرادها ، وكانت بعض النسمات قد تسللت من الشرفة وانعشتني ، فأدنيت رأسها مني وقبلتها بهدوء ، ثم قلت لها :



— اما شبعت بعد ؟ فامعنت في النظر وقالت :

— من ماذا ؟. ثم سكتت وركزت عينيها على كتفي ، واتسعت حدقتاها علامة الدهشة وقالت وهي تمد يدها الى عضدي الايسر وتشير الىناحية منه :

— ما هذا ، اليست عضة ؟

وملت براسي الى حيث اشارت ، فرايت بقعة صغيرة محمرة داكنة قليلا تبدو عليها اثار اسنان .

وضحكت وانا اقول لها :

— مالك ، هل ازعجتك الى هذا الحد ؟ وابتعدت عني كمن لدغتها افعى ، وقالت :

— مالي ؟ من التي عضتك هذه العضة ؟ وضحكت مرة اخرى لسذاجتها وقلت :

— هل تشكين في ؟ انها ليست عضة انثى على كل حال . وصرخت :

— اتكذب ايضا ، قل لي من هي والا طردتك من البيت . فقمت وقد ملأتني غيرتها غرورا امسك بها واقربها مني محاولا تقبيلها ، واذابها تنفر مني وتبتعد اكثر فاكثر الى ان التصق ظهرها بالجدار ، وقالت :

— ابتعد عني ، انت تخونني مع الساقطات وانا بعد خطيبتك ، كيف سيكون حالك اذا بعد ان نتزوج ؟ .

وهنا ازعجني ردها الغبي هذا ، اذ انني لم اكن اظن ان سوء الظن سيؤدي بها الى هذا الحد وصرخت بها :

— تريثي قليلا ، لاخبرك بالحقيقة ، ولا تكوني طفلة حمقاء . وعادتتصرخ

— قل من هي ، ولماذا عضتك .

واقتربت منها وامسكت بها عنوة :

— هل جننت ، لقد تشاجرت مع زميل لي في الجريدة منذ حوالي شهرين ، وكان ان عضني في كتفي . ولكنها لم تشأ ان تصدق على مايبدو وقالت :

— كذب، هل يعقل ان يعضكزميلك لانك تشاجرت معه ، وهل عضضته

انت ؟ واجبتها :

ـ بل كسرت له اسنانه ، والان لا تكوني حمقاء . ولكنها ظلت متشبثة برايها وقالت :

ـ اني حمقاء بالفعل لاني احسنت بك الظن ، والحمد لله الذي اطلعني على حقيقتك قبل ان نتزوج .

وصرخت بها وقد اوشكت على ضربها:

ـ ماذا تعنين ؟ الم تصدقيني ؟

واذا بها تقول هادئة :

ـ قل لي الحقيقة وانا اصدقك واغفر لك .

ولقد شعرت حينها انه لا بد من مجاراتها ، ولقد ملأت راسها بفكرة التي عضتني ، وهي لم تسلك هذا السلوك الا لانها تحبني وتخلص لي، ولهذا اظهرت هذه الغيرة كلها وهذا **الشك الكبير ، وحاولت ان ابررلها** ذلك بعد ان وعدتني بالعفو فيما اذا اخبرتها بالحقيقة ، وقلت لها :

ـ الحقيقة انني منذ اكثر من خمسة اشهر اي قبل خطبتنا ، كنت في بيروت ، ونزلنا الى المسبح ، انا وزملائي ، وهناك صادفنا بعض الفتيات ممن وصفتيهن ، وكان ان تعرفت بواحدة منهن ، اخذت واياها قاربا ورحنا في عرض البحر . وهناك حاولت تقبيلها فرفضت ، وقالت لي ليس هنا ، ولكني امسكت بها عنوة احاول تقبيلها ، ولم تستطع الافلات من ذراعي ، فكان ان عضتني في كتفي . هذه هي القصة ، والان هل تصدقين وتغفرين ؟.

ولكنها بدلا من تسكت وتلين ، قفزت مهرولة بعيدة عني وقالت :

ـ لقد خدعتك ، ايها الذكي لاعرف الحقيقة ، ارايت انك كنت تكذب ، كنت تقول ان ذلك منذ شهرين ، والان قلت انه منذ خمسة اشهر قبل خطبتنا لتبرر ذلك ، والحقيقة انه منذ أقل من شهر ، وبعد خطبتنا ، فهي لم تلتئم بعد .

وصرخت بها وقد احنقني تفاهتها هذه :

ـ والان ، ماذا تقصدين ؟ هل تريدينني ان انتحر لاكفر عن ذلك؟ وقالت بهدوء :

ـ تنتحر ؟ انت تنتحر ؟ اني اراهن على انه لو انتحر البشر جميعا ، لبقيت انت تنتظر قضاء الله فيك . والذي اريده هو فسخ خطبتنا ، وساقول لوالدي عن السبب ؟.

ولم اصدق ما قالته ، فما كنت اظن ان الامر سيبلغ بها هذه الدرجة من الحمق . وتقدمت منها ثانية امسك بها محاولا تهدئتها :

ـ قليل من التعقل يا عزيزتي ، لم اخرب الارض ولم اهدم السماء ، فماذا حدث لك ؟.

واذا بها تنتفض من بين يدي وتصرخ كالمسعورة :

ـ قلت لك ابعد عني ، لاتمسكبي وخطت نحو الشرفة وجذبت القميص المنشور فيها بشدة من على الحبل فتمزق كمه المبلل من تحت الابط . وزاد هياجها ، فصرخت :

ـ حتى قميصك يشهد بكذبك .

واغتنمتها فرصة سانحة وقلت لها :

ـ بل يصدقني ، والان خيطيه حتى انصرف ، فلم اعد استطيع البقاء ساعة واحدة .

ونظرت الي نظرة شذراء لم استطع فهمها ، ثم اردفت :

ـ لا .. يا ، صرت مستعجلا اذا ، انتظر قليلا ريثما اخيطه لك ياحضرة العزيز .

ودخلت فوزية هنا حاملة صينية صغيرة عليها ابريق وفنجانان للشاي ونظرت الينا مشدوهة ، انا بقميصي الداخلي ، وهي ممسكة بقميصي الممزق تنظر الي ، ودلائل الشجار بادية علينا . وعندها امتلات ثغر عزيزة غضبا فصرخت بها :

ـ ضعيها عندك على الطاولة،وهات لي ابرة وخيطا ابيض. ثم التفتت الي مضيفة !

ـ كنت ساحرمك شرب الشاي ، ولكن لا باس اشربه بينما اخيط لك القميص اللعين .

وضحكت ، انها اولى خطوط الرجعة ، وانه لدلال الانثى ، والا فهل يعقل أن تفسخ خطوبتنا لمجرد عضة في الكتف ؟. ثم قلت لها :

ـ خيطيه على مهلك ، اذ انني اريد ان اشرب كل ما في الابريق من الشاي قبل ان اذهب . .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة كبحت جماحها بزم ما بين حاجبيها ، واغمضت عينيها قليلا ولم ترد .

خطوت نحو المنضدة وقد شعرت بان الزوبعة قد هدات ، وصببت فنجانين حملت احدهما وخطوت به نحوها اناولها اياه ، فرفضت اخذه . ووضعته على حافةالمقعد الذيتجلس عليه ، وعدت الى مجلسي ارشف فنجاني متمهلا . ولما راتني اهم باشعال لفافة ، ثارت ثائرتها من جديد وصرخت للخادمة :

ـ فوزية ، اين الابرة ؟.

وكانت فوزية واقفة بالباب ترقبنا مذ رفضت عزيزة تناول كاس الشاي مني ، فلما سمعت صراخها هرعت اليها وناولتها الخيط والابرة صامتة.

وعاودني الضحك لانفعالها الصبياني وتركتها تؤنب الخادمة المسكينة بما شاءت من الفاظ لا معنى لها ؟.

وانصرفت فوزية وهي ترمقها بنظرة طويلة ، دون ان تستفسر حتى عن سبب ثورتها .

ان هذه التصرفات الصغيرة جعلتني افكر كثيرابامرخطيبتي،ورحتاتساءل ما بيني وبين نفسي ، امع هذه الانسانة ساعيش كل عمري ، وهل تستطيع واحدة مثلها ان تقوم باعباء البيت وتربية الاولاد، وهي على ماهي عليه من الغباء ، وعلى هذه الدرجة من التفاهة والحمق ، والاهتمام الزائد بما لا قيمةله ؟

وملات فنجانا اخر من الشاي ، واشعلت لفافة ثانية اشغل بهاتفكيري قليلا .وهنا قامت ومدت لي يدها بالقميص ، فاخذته منها وارتديته على عجل ، ثم دلفت نحو الباب ، وقلت لها قبل ان اخرج :

ـ لن اذهب اليوم الى السينما ، وان شئت ان تذهبي وحدك فافعلي. واغلقت الباب ورائي ، واذا بصوتها يتناهى الي

ـ عادل !..

وكنت حينها قد هبطت بضع درجات من السلم الطويل ، وكانما فاجعة مروعة حلت بي ، اذهبت المرح عن نفسي ؟.

.. مضى اسبوع دون ان اذهب لزيارتها ، واقلق انقطاعي المفاجيء هذا اهلها ، فجاءت امها لزيارتنا مستفسرة عن سبب غيابي الطويل في هذه الفترة التي يجب ان تكثر فيها زياراتي ، كي نتعاون في اختيار بعض مستلزمات بيتنا . وقلت لها دون ان ارد على سؤالها :

ـ اني اريد تأخير الزواج شهرا اخر ، وذلك لاني سأذهب في مهمة صحفية الى اليونان ، وبعد عودتي نتزوج ان شاء الله .

وسكتت ، كانما ضربة هائلة قد نزلت على ام راسها افقدتها صوابها، ثم تمالكت نفسها وقالت :

ـ كما تريد ، والاناستودعكم الله .

وسلمت على امي وغادرتنا دون ان تنتظر حتى فنجان القهوة تشربه.

واستفسرت امي عما بيننا ، فاخبرتها بما كان من امر عزيزة يوم زرتها لاخر مرة . واذا بها تضحك ، ثم تقول :

ـ انتم اطفال بلا شك ، امن اجل هذا السبب تؤخر الزواج ؟ عزيزة بنت لطيفة وتحبك ، ثم ان لها الحق بان تسألك عن مثل هذه الاشياء . توكل على الله ، واتركنا نفرح بك قريبا ، ولا تكن قليل العقل مثلها .

.. وسرى ذلك عن نفسي قليلا ، وعزمت على زيارة خطيبتي في اليوم التالي ، معيدا الامور الى مجراها الاول .

بعيد المغرب بقليل ، كنت اطرق بابها ، فهرولت الي منفعلة لانقطاعي الطويل عنها ، وفتحت البابودعتني للدخول . واذا بامها تظهر وراءها تسأل :

ـ من عادل ؟ تفضل .

ودلفت واياهما الى غرفة الجلوس وجلست صامتا . ونظرت عزيزة الى امها نظرة فهمت معناها على ما يبدو واذا بها تقوم وتخطو نحو الباب وهي تقول لي :

ـ جئت في وقتك يا بطل ، سياتي اخي محمود وزوجته اليوم لتناول طعام العشاء عندنا ، وستكون انت ضيف الشرف ! والان ، سأتركك مع عزيزة لاتدبر امري . واذا بعزيزة تقول لها مرحة وهي تنظر الي :

ـ قولي لفوزية ان تحضر لنا شايا.

وما ان خرجت امها من الغرفة ، حتى جلست بجانبي وهي تسألني :

ـ هل استئت مني ؟ يا سيدي اني اعتذر عن كل ما حدث ، ثم ، هل صحيح انك ستؤجل الزواج شهرا اخر ؟.

وقلت لها وقد شعرت بانها طفلة حقا ، نسيت كل ماكان بومضة عين:

ـ امامي رحلة الى اليونان مع الوفد الصحفي الذاهب اليها بدعوة رسمية ، واستطيع ان اعتذر عن الذهاب اذا شئت . وسكتت برهة ثم قالت :

ـ وهل تريد انت الذهاب ؟ فاجبتها :

ـ نعم ؟. وكانما لم تكن تنتظر هذا الجواب ، فاسبلت جفنيها الى الارض ، وزمت ما بين حاجبيها ثم قالت :

ـ كما تريد ، اذهب ، ولكن انتبه من ان تعضك واحدة اخرى فيكتفك الايمن هذه المرة لتحقق التوازن ؟.

ونظرت اليها مليا ، وقلت :

ـ من اجل العضة التي في كتفي، لقد اخبرتك بالحقيقة اول مرة ، ولما لم تصدقيني ، اجبرتني على الكذب عليك ، وارجو في المرة القادمة ان تصدقي ما اقوله من المرة الاولى ، لاني اقوله صادقا . وحقيقة كماقلت لك ، اني تشاجرت مع زميل لي عضني في كتفي لما تضايق مني .

واذا بها تقول ثائرة :

ـ لن اصدق هذا ، والسبب الثاني اقرب الى المنطق ، مع انه كذب هو الاخر ، ثم لماذا تريدني ان اقتنع بان العضة لم تحدث بسبب قصة بيروت ، وانما بقصة الزميل الذي عضك ؟ وقلت لها :

ـ لانها الحقيقة اخبرك بها ، بعدما جعلت منها مأساة ، وحبكت حولها قصة خيالية والامر كله اتفه من ان يبعدنا عن بعضنا يوما واحدا .

ولم ترد ، فقد رن جرس الباب ، وقامت لفتحه، فاذا بخالها وزوجته مقبلين في ميعادهما . وقادتهما الى حيث كنت جالسا . وقمت اسلم عليهما ، ثم جلسنا نتجاذب الحديث في امور كثيرة ، وجاءت لنا فوزية بابريق الشاي تلهينا به ، ريثماتدعونا والدة خطيبتي الى تناول الطعام .

.. التففنا خمستنا حول مائدة الطعام ، انا وعزيزة وامها وخالها وزوجته ، بعد ما اخبرتنا ان زوجها اعتذر عن المجيء لعمل طاريء. بقينا صامتين مدة ونحن نتناول الطعام ، واذا بزوجة محمود خال عزيزة ، تقطع علينا صمتنا وتقول موجهة الحديث الىمضيفتها :

ـ هل عرفت ان « فريحة » قد رفضت الزواج من اخي، مع انه دفع لها مهرا قدره خمسة الاف ليرة ، بحجة انها لا تعرفه وقد لا يعجبها ؟

وفريحة هذه قد مر ذكرها ، فهي صديقة عزيزة وزميلتها في المدرسة، تعمل مدرسة في مدرسة ابتدائية . ولم ينتظر محمود رد اخته عليها ، فتوجه الى زوجته بالكلام :

حسنا فعلت، والا كيف تتزوج من رجل لا تعرفه ، وقد لا يشاركها في شيء من ميولها . وقد عملت عين العقل وقلت انا لها ، وقد شاءني ذكرها للمهر وقيمته :

ـ ليس الزواج تجارة على كلحال والخمسة الاف ليرة التي دفعها ، لا تستطيع ان تغري كل الناس.

واذا بعزيزة تدلي بدلوها في

فريسة

لا تمسح آثار الدماء على يديك
لا تلق انقاض الوفاء من راحتيك
انقاض قلب وادع ... اودعته يوما لديك
ستظل لعنات السنين ترن .. تثقب مسمعيك
وحثالة الامل الذي حطمته تصحو عليك
تبدو .. فتصفع ناظريك
وملامح الذكرى .. ستجرح مقلتيك

حدق !!
اتذكر روعة الدنيا على ..
ثغري الذي روى حريقك مذ غلى
نبعا ... سخيا ... مثقلا
صيرته يوما لعنفك مغزلا ...
وجعلته في ثغرك المحموم يبدو مشعلا
وازحته لما ارتويت .. وما ارتوى
فيه الهوى ! ..

هل كان هذا الصدر يشكو من لياليك العناء
قدمته لوعودك السكرى هباء ...
واليوم ...
هذا الوعد والاحلام يطويها الفناء
واليوم ...
هذا الصدر ترميه على درب المساء
كالطائر المقرور في ناب الشتاء ..
من بعد ان حطمت فيه الكبريا ء..
ورضعت من فوراته روح الاباء
عفو الوفاء ... اذا نسبت الى الوفاء !!

اشرد .. على درب الصبايا والنساء
واترك شظايا الحلم .. يا لص الهناء
لا تذكر الايام .. فالايام ماتت .. والضياء
يذوي .. ويهجر جانحيك ..
فلسوف تصفع ناظريك ..
ولسوف تثقب مسمعيك ..
اطلالة الذكرى ..
لدن تصحو عليك !..

الكرك الاردن — فائز صياغ

الحديث وتقول:

— فريحة هذه طول عمرها مسطولة لماذا لاتتزوجه وتجربه، فان لم يعجبها طلبت منه الطلاق واجبرته عليه.

وبهت ، ونظرت اليها دهشا وقد توقف فمي عن لوك الطعام ، وكأنما قد شلت عضلاته :

— ماذا تقولين ؟ تتزوجه لتجربه، واذا لم يعجبها تطلقه ؟ اهذا هو رايك اذا ؟ وهل هذهي نظرتك الى الزواج واذا بها تقول مفاخرة :

— اجل ، وماذا في هذا ، تتزوجه، وان لم يعجبها تزوجت غيره .

.. كنت انتظر منها ان تدرك بعض ما قالته ، وان تتراجع عنه ، او تصمت خجلة او شيئا من قبيل هذا ولكن جوابها صعقني أكثر فاكثر ، وما وجدتني الا ويدي تنزع خاتم خطبتنا ، ورميت به على المنضدة . ثم التفت الى امها قائلا :

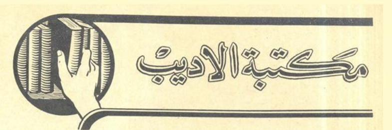
— اهذا ما تعلمينها عن الزواج ؟ هو تجربة اذا ؟ فان لم يعجبها تبدله يا سيدتي أني اعتذر عن الزواج من ابنتك ، واني لاحمد الله على هذه الصدفة .

ومشيت نحو الباب بين نظرات جامدة ، لقد عقدت الدهشة السنتهم فلم يرد علي احد بشيء ، وهكذا انتهى امر خطيبتي العزيزة ، تلك التي اقامت الدنيا واقعدتها من اجل قصة تافهة ، والتي لم تجد حرجا في كل ما قالته .

.. قص علي محدثي هذه القصة ، لما كنت واياه وقوفا امام باب السينما ننتظر خروج المتفرجين من الحفلة الاولى ، عندما مرت من امامنا سيدة مهذبة برفقة زوجها ، تنتظر هي الاخرى خروج المتفرجين على ما بدا لي . ثم عقب محدثي قائلا :

— هل ترى هذا الذي برفقتها ، انه زوجها الثاني ، ولم تنجب منه اطفالا حتى الان ، مع انها تزوجته منذ أكثر من عامين ، لانه ما زال تحت التجربة .

دمشق — ناشد سعيد



ذاكر يا ترى ؟

تاليف ام عصام : خديجة ج . النشواتي ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بدمشق ـ المطبعة الهاشمية بدمشق .

هذه الكلمات النميقة التي تؤلف صفحات تقرأ وتحب او تكره ، دلائل تشير الى شخصية كاتبها ، او كاتبتها ، بل هي الباقية بعد ان يتم المرء رحلته في الحياة ، ويمضي ...

وليس اروع من ان تقف المراة جنبا الى جنب مع الرجل ، تدلند ، تشاركه كل شيء ، « وتناهضه » حتى في الادب . فليست ، بعد ، مجرد قطعة من اثاث ، ولا هي متعة تشتهى حتى اذا مانيلت لفظت لفظ النواة . الا ان الكاتبة شاءت ان تعرض امامنا صورا طريفة من مجتمع مختلف في نظرته الى المرأة .

ولنتفق اولا على تسمية ما جاء في كتاب « ذاكر ياترى » بالصور . فليست من القصص على قسط كبير . حتى ان الكاتبة الكريمة نفسها اثرت ، على ما يبدو ، ان تترك للقراء ان يصنفوا كتابها كيف شاؤوا . واذ اسمح لنفسي « بتصنيف » الكتاب فانما لاسهل ، على من يقرأ هذه الكلمة ، ما سأذهب اليه .

المراة في هذه المجموعة لعبة الرجل . متعة آنية لا تلبث ان تبدل ، ببساطة تبديل الثوب الذي يرتديه ، ولعل في استسلام المرأة هذا الاستسلام الخانع ما يغري الرجل في ان يعتبرها واحة يستظل فياها حينا ، وينتج عطرها الذي يملأ نفسه رائحة زكية لا تلبث ان تطردها رائحة اخرى .

ان سمر في « ذاكر يا ترى » قطة اليفة . تبصبص بذيلها اذا ما شبعت ، ولا تموء حتى لو فراها الجوع . او هي امة تنتظر مولاها ان يمن عليها بفتات مائدته العامرة . لا تناقشه ، ولا تستكثره القليل الذي يعطي . هي رزقتها . وسبحان مقسم الارزاق ....

ويستغل عامر ضعف سمر الى ابعد حدود الاستغلال . هي التي لم تصمد طويلا امام نظراته ، التي لم تكلفه الا كلمتين ، التي جاءته صاغرة الى بيته ... وبمثل البساطة التي نالها بها يبصقها . ان وارث القرش ينفقه على طريقة « انفق ما في الجيب ، يأتيك ما في الغيب . » اما الكاسبة بعرق جبينه فيالم لفراقه . ومن هنا نظرة الرجل الى المرأة . ان السهلة ، بالنسبة اليه ، يتركها غير آسف . ومع ذنبه ، وقد ارتضت لنفسها مثل هذا الامتهان ؟ وحتى حين تقرر ان تثور ، في « وريقات في الخريف » ، لا تتعدى ثورتها حدود التمني ...

هذه هي الخطوات المقتفيات في دروب الكتاب . وانك لتستطيع ان تدرج « اتراه يحن يوما » (الصورة الرابعة) كتابعة لـ « ذاكر ياترى » . ورقة سقطت . او اقتطعتها يد منضد الاحرف . لكأن اللقاء العابر الذي انهيت الصورة الاولى به ، لم يعجب الكاتبة ، فعمدت الى وضع مثل هذه النهاية « المسرحية » . لعل ان تثير شفقة اكثر ؟ ودليلي على انها ورقة تابعة للاولى ، ان المرأة فيها « كسمر » وان غدا اسمها « هيفاء » وعامر استحال الى « سامر » .

اما الرجل فهو الثعلب الذي لا يكتفي بفريسة . « وقد التفت عامر كعادته يبحث عن فتاة تدفع عنه السام والملل ... » بل يحاول طمر فريسته ليبحث عن اخرى . أهذا هو الرجل دوما ؟ ذئب يعوي ويبصبص بعينيه بدل ذيله ؟

وليس الرجل كريما في هذه الصور الا لماما . كما في صور « ناقمة » و « حنين » و « انتظار » . ولا ادري لماذا تصر الكاتبة الكريمة على ذلك ؟ وقبل ان ننتقل من « ذاكر ياترى » ، وقد استغرقت ٦٢ صفحة ، والتي يستطاع اخذها كانموذج لكل صور المجموعة ، ارغب في ابداء بعض الملاحظات .

« كان الحب بينهما وليد سنوات » . لست ادري اذا كانت هذه السنوات لا ترفع عن « الوليد » هذا اللقب . الافضل : حضين ، او ربيب ، مثلا .

« بعد الصيف عن الشتاء .. بعد القمة للهوة السحيقة » . عن الهوة ، اصح من « للهوة » . والكاتبة استعملتها في المقطع الاول من الجملة اما صورة « ضائعة » فتعيد الى الذاكرة ، قصة « مرتا البانية » .

حتى ان العاطفة السارية في اوصالها من مقلع جبران ، فيها نفحات جبرانية . وان كانت ، هكذا ، تتشوه .

قلت ان المرأة لعبة الرجل في كل الصور . فهي ابدا مستسلمة . نظرة مصوبة وقحة ، وياقة منشاة ، وقامة مديدة ، وحذاء يلمع ، هذه هي عدة الرجل الذي سيرى ـ والعهدة على الكاتبة ـ ان اكثر النساء ضحايا سهلات امامه . فلينتق منهن ما يطيب له الانتقاء . وليتمتع في لحظات هنيئات . اما عذاب المرأة ، اما مرارة الذكرى ، فليست عليه . مصيبته انه ابن ساعته ، اما المرأة فهي بنت ماضيها ، بقدر ما هي بنت ساعتها .

وفي صورة « قدر » نظرة استسلامية ، نحن حجارة شطرنج ستبقى في مكانها ما كتب علينا ان تبقى ، الى ان تبقى ، الى ان يقيض الله لها من ينقلها .. ويظهر ان الكاتبة متعجلة في ماكتبت ، فلم تتنبه الى اخطاء لغوية باستطاعتها تلافيها . « ثم فكت شريطا ازرقا » . افعل لا تنون .

وفي « عبير ذكرى » عقدة ساذجة . ان عادل ، كما تقول الكاتبة ، صديق والد ناديا . اما كيف يكون صديقا له من دون ان تعرف ابنته انه متزوج ، ففيه الكثير من سذاجة المفاجأة القصصية المتوخاة .

ولا اعلم لماذا تتردد كثير من مثل هذه التعابير على الاقلام النسائية . لكان المرأة ـ وهذه من تأثير المطالعة ، وبالتالي من اجترار العبارات ـ تنسى انها انثى . وان من الافضل ان يقال :

« ورأيت نفسي كالضائعة تتخبط في بيداء الحياة التائهة » . بدل ان تتكلم بلسان المذكر : « كالضائع » . ومن هذا النوع سخف الاغاني المنشدة من كلا الجنسين ، بلسان الجنس الاخر .

وفي صورة « حنين » لا تراعي الكاتبة حداثة سن بطليها . ان هاني « ابن السادسة عشر » يتكلم كلام الراشدين من الرجال عن حق وحقيق . وليس تمثلا ، الم يهتف بسعاد : « فكري معي يا سعاد !. بعقلك لا بقلبك ، سيبقى حبنا ذكرى ... ذكرى حلوة ناعمة نتزود منها للايام الآتية .. تزوجي ياسعاد . واطو حبي في زاوية من قلبك . كما سأطوي ضلوعي وقلبي على حبي وذكراك » .

ان في كلام هذا الفلام نضجا لم يعرفه في اعوامه الثلاثين ، مع انه اصبح مهندسا . فان كان لم « يسعفه تجلده » من ان يقبل يديها ، افيعقل ان يسمح لنفسه بالتمرغ على سرير مصدورة ذهبت ؟. من دون

ان يخاف انتقال العدوى ؟ قلت انها تكاد تكون الصورة الوحيدة الحادبة على الرجل ، الذاكرته بالخير . ولعل « انتظار » التي من اطرف صور المجموعة ، تجسد هذا الحدب .

سهام في هذه الصورة امرأة بعينها ، اما ابن عمها الذي لم تذكر الكاتبة اسمه عفوا – على ما يظهر – فقد احسنت صنعا باضاعته بين الرجال . انه في كل رجل في بلادنا ، يتحفز لقتل التنين ، اذا ما دعا داعي الوطن . انها صورة حلوة تذكر ببعض مراحل مناهضة الاستعمار عندنا ، ومن ثم بالعدوان الثلاثي الغاشم على مصر . وهي الوحيدة ، تقريبا ، من بين صور المجموعة التي تظهر براعة الكاتبة بوضوح . وليت لم يرد فيها : « فاجأتنا دورية يهودية بنيرانهم الغاشمة » والاصح : بنيرانها .

ان الكاتبة ، في صورها هذه ، تتناول علاقة الرجل بالمرأة ، وما ينبعث بينهما من حب خاطىء ، في الاكثر . وليس في الامر مأخذ . فقيمة اللوحة ليست في الموضوع المعالج ، انما في طريقة المعالجة : من تكثيف ، وتلوين ، وتجديد . ولعل هذا ما عناه الشاعر الجرماني « جوته » بقوله :

« بدات حياتي الفنية مرة اخرى ، لما شغلت نفسي بتأليف قصة من ذهني ولاقتصرت دائما على اعادة كتابة القصص القديمة مع تموينها بمعان حيوية جديدة » .

ومما يؤخذ على السيدة ام عصام ، هو تدخلها السافر بشؤن ابطال صورها . وافتقاد ملكة الاختيار . رغم اطلالة الصدق عبر كلماتها ، الا انه صدق مثقل بتفاصيل لا تغني . بل تفقده بعض حرارته . والقصة بمفهومها الحديث ، ليست الا عرضا مصورا ، لوحة رائعة ، للحظات ، لايام ، لعمر . شريطة ان تتزمن في فترة قصيرة ، هي كالمدة التي تستغرقها قراءة القصة . ان تتخفف من اثقال الزمن . ان الطفل في قصة السيدة نشواتي (وقصة هنا من نافذة التجوز) ينمو ويكبر ويبدأ سن الثلاثين في صورة لا تتجاوز الصفحات . تتزوج وتطلق اكثر من مرة كما في « ناقمة » . وتدخلها لا يقتصر على لمسات خفيفات ، قد تتجاوز ، كما في « ضائعة » ، بل قد يتحول الى خطبة منبرية في « يا ليل » والى مقالة في « هذا عامك العاشر » و « بدون قد » ، حيث تنبري الكاتبة لمناقشة آراء وتفنيدها .

ويبدو ان الكاتبة متعجلة في الدفع الى المطبعة. ككل ناشيء وناشئة. ولكم يطيب خمر هذا القلم الربيعي النسمات ، المنمق العبارة – احيانا – الهائم وراء جمالات تطرب ، الناحت تعابير طريفة : « والا اصيبت بالسخرية » ، في « ذاكر يا ترى » ، لو لم يلغ من ابعاد معانيه البعد الثالث : العمق ، الغاء شبه تام . انه عادي النظرة الى الشؤون : الى آدم . الى حواء . الى الحياة . لا شيء جديد يدعو ، ضمنا ، اليه ، او يحض عليه ، حتى ان صاحبته لاتأنف من ترديد مقالةالعامة : « الدنيا تمطر » . مع ان العليا (اي السماء) هي الماطرة . او الجو . اما الدنيا فمتى كانت ترسل رذاذا ؟ « وغدت الدنيا اكثر راحة بعد ما بكت طويلا » . والاطرف لو قيل : « بعد ما اغتسلت » ... حتى الحب في الكتاب صنو للشهوة ، بل الشهوة بعينها . او هو حب مراهقة .جسد يلتقي جسدا ، ونلمح ، عبر هذه الصور ، ظلالا مهزوزة لاحسان عبد القدوس ويوسف السباعي . او ليست هذه طريقة احسان المفضلة في التنقيط « المشرود » والفاصل بين عبارات الجملة الواحدة المهملة على السطور ؟ لضرورة ولغير ضرورة في الاكثر . بل ان الكاتبة تلتقي معه في الادب « المكشوف » (ولعل المفضوح الزق) اذا صحت تسمية اكثر ما يكتبه بالادب ...

ان قلم ام عصام ينطوي على ثراء من الشاعرية الدافئة ، على الامكانات التي لو تعدتها صاحبته بشيء من الجهد المستاني ، لاعطى ما يبهج ، وما يمكن ان يدل عليه بالبنان . فليس كالمطالعة غذاء لهذه الموهبة التي لا تنكر . ولكن تهمة التعجل ستبقى لاصقة ، الى ان تعطينا « ام عصام » شطرا يستحق ان يقرأ ، وان يضاف الى ادبنا المعاصر .

عادل الاعور

أغاني الحـان القديم

مجموعة شعرية – لعبد الخالق فريد – لوحة الغلاف بريشة يحي جواد – ١١٢ صفحة – دار مطبعة التمدن ببغداد

واسفاه .. ان جسدي سأم حزين
بعد ما تلوث كل ما خطه يراع على طرس
وليتني افلت من ربقة هذا الجسد
اما انت يازورقي الذي تترنح ملتاعا بقلاعك
ارفع المرساة اليك
مرساة هذا الوجود الغريب البغيض . (ستيفان مالارميه)

وكما تحس الرمال وذرات البخار الاستوائية بقطرات النيران المتوهجة، يحس الكثير من البشر ، وخاصة الشعراء منهم بسعير السأم ، السأم الذي ينصب خيامه في قلب بودلير ، كما يتغذى على اعصاب بول فيرلين المتكسرة ...

السأم ، ذلك العربيد الذى ينهال بمعوله على لحظات الحس الحرجة فيوقد من دماء الجراح ناره الابدية ، لينعم بحرارتها ويرقص على جماجم السعادة . ولكن قد يتبنى الشاعر سعادة شبحية يصوغها الوهم .

وواحد منهم هو عبد الخالق ، انه في جحيم وهم هذه السعادة اللئيمة ، السعادة الشجية ، فخط هذا :

وتسحب الايام اذيالها
وتمحي عن طرفي الحائر
ولا خيال لحبيب مضى..
يعيد لي عهد الهوى الزاهر
فانثني والياس بين الضلوع
يوءجج النار باعراقيه
الوذ بالدمع وحتى الدموع
جفت فلا يحزنها مابيه
يا قلب يا قلب ترفق فما
لهذه الاسطورة الباليه
نهاية ، كلا ولا مأمل
سوى جحيم الوهم والهاوية

والمنقار العاطفي الذي يزق البشر النشوة ، وهو في حمأة اليأس والقنوط يتألم ، يرجع من جديد ليعيش اشواقه مرة اخرى على دروب الخيال ، وينقر من جديد الما يطعمه اعصابه المتهرئة ، انه ليقرمط خلايا جسمه المتهدم كما يقرمط اظافره التي غمدت باكداس الوجوه الترية . نعم يرجع من جديد وفي عينيه عتاب طويل ، عتاب لمن يحاول ان يرفس باقدامه الحجرية الوقحة جبال الخيال ، وعصور الطفولة والشباب المسن .

هذا هو صديقي الشاعر عبد الخالق فريد ، الذي ترد عليك مقلتاه، فتطالع فيهما الضجر ، والحزن الافاق ...

انه يقذف من جديد وبمرمرية قاسية اغانيه القديمة التي قيلت في الحان ، انه كلام السكارى ، وقد يكون كلام السكارى عذبا ، يؤرخ دراما ، ويعيد مأساة العهود الممزقة من جديد .

والاطياف ذلك الشيء المبتذل يحصد بمنجله الاخر الاماني الرقراقة التي تدك قلاع اليقظة على حساب الوهم الكافر .. انه يحاول ان يجد لحياته معنى ، وهذا شأن معظم الناس في عالمنا الكئيب انه يحاول ان يجعل المأساة تنتحر ، والاماني تزرع الدروب .

ان امانيه قد جفت ، هو الطير يقول ذلك :

وطيوف تزورني في رقادي   فتريني الفناء قبل الفناء
فلقد جفت الاماني وشيكا   وهي كالزهر في ضفاف الماء
وانا والسنون تطوي شبابي   كشهاب يدور نحو انطفاء

انه يدور في فلك الفراغ يلعق باكواب الزمن مرارة اليأس والقنوط ، لقد اتخذ من حانه وكأسه سلوة ، في غربة عن الوجود ضاقت بها

اشجانه . انه زاهد وهذا قد يكون من جانب انخذالي للحياة ولكن لا بأس فهذه جراة كما برهن عليها الكثير . ان السأم يتجسد :

ما للوجود يضيق في بصري ما للحيلة كئيبة الصور
وحدي انا في غربتي قلق مضني حليف اليأس والكدر
الليل يطويني ليسلمني لكآبتي ومرارة السهر
مر الشتاء بروضتي فطوى منها ازاهير الهوى النظر

ولكن دعني اقول لك انك ليس الاول في الكآبة فقد سبقك الكثير ولتسأل « ليون موسينيساك » المأساة دائما وفي اغاني الحان القديم يمكنك ان تقرأ المأساة ، مأساة الفراغ الهرم ، ومرارة الوجود وبوهيمية الزمن . لعل عبد الخالق قد قذف به الى هذا الوجود رغما عنه كما قال « سارتر » فعليه ، ان يتحمل ، ويجسد هذه الدراما ، كي يقرأ بعض البشر انفسهم .

بغداد حارث الوفي

•

قصة الوقت

تاليف ناجي جواد المحامي ـ بحوث عن تطور صناعة الساعات ـ ٩١ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بـ ٢١ لوحة ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت

يرسم لنا الاستاذ ناجي جواد صورة مؤلمة لما كان يقاسيه افراد اسرته من العناء والجهد الناصب في سبيل لقمة العيش لسد الرمق فيقول : « كان افراد اسرتي الذين تجمعهم دار واحدة يصلحون الساعات المتناثرة على جانبي الطاولة وهي معطلة عن اداء عملها ليعيدوا لها نبضات الحياة على ضوء خافت ينبعث من زبالة المصباح النفطي »

وقال « انني انتمي الى عائلة اكلت (الساعات) ايامها وطحنتها (دقائق)الاتها » . وعلى الرغم من ان والده المرحوم كان يدفعه الى تعلم مهنة تصليح الساعات حسب مقتضيات ذلك العصر ، فان ناجي الشاب الطموح الجوال في افاق الحيوية والدأب والصلابة والنشاط رغب عنها ، ونفر منها فقد كان ابدا متلهفا الى المزيد من المعرفة والادب والثقافة .

وكان يتمتع بسابغ العناية الفائقة من لدن امه التي تنطوي نفسها الطاهرة على قلب انساني كبير ، فكانت تغمره بوابل من الحب الدقيق ، وكانت تنفحه من حين لاخر ببعض النقود ، وسرعان ما يذهب بها الى السوق لاقتناء الكتب الادبية فيشبع نهمه الجائع دائما الى الوان من القصة والشعر والتاريخ ، ويسكب نور عينيه في محراب المطالعة والدرس والتحصيل واستخلاص الحقائق فقال « ولما ادركت مرحلة الصبا اخذ افراد الاسرة يشوقونني لتعلم هذه المهنة ، دون ان يدرك احد منهم ، رغبتي عنها وشدة كرهي لها سوى امي ، فانها كانت تنفحني بين حين واخر بقطع نقدية حرصا منها على ان يتعلم ابنها مهنة حرة شريفة تعينه على تحمل اعباء الحياة ، لذا كانت هذه الهبة تضطرني ـ ولو بعض الوقت ـ الى تحمل عناء (الساعات) واصلاحها ريثما اجد لنفسي مهربا انفذ منه الى غرفة في البيت اطالع فيها كتابا »

وكان طبيعيا ان يصبح الاستاذ ناجي جواد اديبا مترف الذهن ، رفيع الذوق ، سامي الاغراض ، قد اوفى حظه من الابداع والاجادة بعد ان جد في طلبه للمعرفة ، ولم يلبث ان شرع يكتب المقالات الاجتماعية في الصحف المحلية حيث يعالج المشاكل الاتية معالجة موضوعية بناءة ، وكتب في القصص الفني الحديث ، فاستقى موضوعاته من بيئته التي كان وصفه لها حقيقيا مؤثرا ، واماط اللثام عن الحياة المريرة التي كان يعيشها ، وصور عذابات الطبقة الفقيرة والفئات الكادحة تصويرا دقيقا معبرا ، .

وكان الدافع لتاليف كتاب (قصة الوقت) انه في اليوم السابع من شهر اب سنة ١٩٥٥ سافر الاستاذ ناجي جواد الى جنيف ليحضر معرض الساعات والجواهر المقام فيها ، وجرى خلال الاجتماع الحديث حول الامم التي لها قصب السبق في هذه الصناعة ، فراح كل من الحاضرين ينوه بجهود بلاده وانبرى ناجي جواد قائلا « فذكرت بدوري تعمق البابليين في علم الفلك ، وسابق فضلهم في تقسيم اليوم الى اربع وعشرين ساعة كما نوهت بفضل المصريين في اكتشافهم الساعة المائية »

وحينما انفرط عقد الاجتماع التمعت برأسه فكرة تاليف كتاب يتناول بالدرس والتمحيص موضوع الوقت منذ اقدم العصور حتى جيلنا الحاضر ، فكان كتابه هذا ثمرة مجهودات كبيرة ، وقد ضحى بالكثير من الاموال حيث زار متحف العلوم البريطاني في لندن ،ومتاحف القاهرة وايران والهند وباريس والمانيا وروما والسويد ، وحضر معارض سويسرة التي عرضت فيها احدث الساعات . وزار مدينة فرانكفورت لمشاهدة ساعة التقويم (الكالندر) التي يتعين بها اسم اليوم والشهر والتاريخ وفيها فرجة ترى من خلالها سير القمر في مراحله المتعاقبة، وهي ساعة عجيبة قدمت هدية في عام ١٧٤٩ لشاعر المانيا وفيلسوفها الاكبر جيته .

وفي لمحته التاريخية تدرج في اعطاء صور حية عن تطور اختراع الساعة، فقال عن ساعة الظل « قسم الانسان البدائي حركة الظلال الى اقسام معينة تتناسب وحياته البدائية البسيطة وليس بعجيب ان يستمر هذا المبدأ (اي الظل) اساسا لقياس الوقت طيلة اجيال متعاقبة . »

وقال عن ساعة الماء « الشرق هو الذي ابتكر ساعة الماء التي لعبت دورا مهما في قياس الوقت ليلا ونهارا ، ونسب بعض المؤرخين اختراعها الى المصريين مستدلا بذلك الى الساعة المائية التي عثر عليها في معبد الكرنك » .

ولم تفرب عن ذهنه الاشادة بالعبقرية العربية المبدعة ، وما اسدته للانسانية من خدمات جلى فقال « وليس ادل على صحة قولنا من تلك الساعة المائية الدقاقة التي تعد نادرة من نوادر الزمان ، والتي صنعها العرب في عصرهم الذهبي وقدمها هارون الرشيد لشارلمان فكانت اعجوبة فنية واضحت خالدة مع الزمن ، اعجب بها شارلمان ودهش رجاله حتى زعم ان بعضهم هرب من المجلس عند سماع دقاتها ، ظنا منه ان شيطانا يختفي في باطنها » .

وقال « وكانت اشهر هدية قدمها صلاح الدين هي الساعة التي اهداها للملك فردريك والتي ادهشت الاوروبيين في حينها وكانت مرقمة باثني عشر رقما متوازيا ومتتاليا تتحرك مع الفلك بدقة عجيبة »

ويحدثنا « عن منارة الاسكندرية المشهورة التي تعتبر من المباني العجيبة وقد بناها ذو القرنين وقيل انها كانت مبنية من حجارة مهندسة مغموسة في الرصاص فيها نحو ثلثماية بيت، وللبيوت طاقات على البحر، ويقال ان طولها كان الف ذراع ، وفي اعلاها تماثيل من نحاس ، منها تمثال رجل قد اشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة ، منه سمع له تصويت يعلم به اهل المدينة مجيء العدو فيستعدون له، ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ، ويقال انه كان باعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة اذرع كانوا يرون فيها المراكب ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك »

وقال عن ساعة النار « فما هي الا اجيال تمر حتى يخبرنا التاريخ بان الصينيين اكتشفوا ساعة نارية ذات الاثقال الدقاقة » وقال عن الساعة الرملية « واخيرا ظهرت الساعة الرملية فاخذت مكانها بين الساعات الاخرى في قياس الوقت ، فزجاجة الساعة الرملية اضحت رمزا للوقت ، وكانت دقة قياسها للوقت موضعا لثقة الاقدمين في هذه الفترة الزمنية ، ففي الكنائس تستعمل لتسجيل مدة الاحتفال الديني كما يستعملها البحارة وتساعدهم على ضبط المدة اللازمة لقطع مسافة معينة ، يستخدمها كذلك مراقبو التلفونات لضبط فترة المكالمة التلفونية للمسافات البعيدة ، واما الطباخون فقد استعملوها وما زالوا لمعرفة الوقت اللازم لنضج البيض على النار .»

وعند ذكر الساعة الالية يعود الاستاذ ناجي جواد مشيدا بفضل مفكري العرب على الحضارة الحديثه فيقول : « وان الدلائل التاريخية والاستقصاءات العلمية استقرت على ان الساعة الالية استنتجت من اراء فلاسفة العرب وعلمائهم المتضلعين في الرياضيات والفلك ، وهناك كثير من العلماء الاوروبيين المنصفين الذين دفعهم ضميرهم العلمي النقي الى اقرار هذه الحقائق التاريخية الثابتة فاعترفوا بفضل العرب واسبقيتهم في هذا المجال العلمي »

واستطرد قائلا « وقد ذكرت المصادر الغربية ان ايطاليا هي اول بلاد اوروبية عرفت الساعة الالية ، وذلك في اوائل القرن الرابع عشر. وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه انفا من اسبقية العرب في علم التوقيت اذ ان الايطاليين كانوا في احتكاك واتصال دائمين مع اهل سورية ومصر نظرا لقرب ايطاليا من السواحل السورية المصرية ، ولا سيما في اثناء الحملات الصليبية ، وكانت صقلية خاصة ، وبفضل الفتوحات العربية مدرسة كبرى تعلم فيها الاوروبيون في تلك العصور علوم العرب على اختلاف انواعها ودرجاتها . »

وتحدث حديث الواثق المطمئن عن المراصد والاسطر لاب وساعة النابض وساعة النواس وساعة الكاظمين وساعة الحضرة الكيلانية وساعة القشلة والساعة البغدادية والساعة الحديثة والساعة المضادة للاسر والساعة المضادة للماء والساعة التي تملأ ذاتيا والتي يحتاج تصليحها لخبرة فنية وخمس ايد قديرة ، والساعة الضوئية ، واخيرا الساعة الذرية التي لا تقدم ولا تؤخر اكثر من خمس ثوان خلال ثلثمائة سنة من عملها

وتشبع الاستاذ ناجي جواد بالمثل الوطنية والقيم الانسانية معا فعند حديثه عن ساعة المعرض التي صنعها عبد الرزاق محسوب والتي تعد بحق مفخرة العراق ، والبرهان الناصع على ان العقل العربي يجيد الاختراع والابتكار في جميع المجالات الفكرية فيقول « يحق لي كعراقي ان افتخر واناصر كل عمل يقوم به بنو وطني في الحقل الصناعي مما يكشف عن قابلياتهم ويجلو مواهبهم وينهض دليلا قاطعا على ان النبوغ والابداع لا يختصان ببلد دون اخر او ينفرد بهما شعب دون سائر الشعوب »

ففي يوم من ايام سنة ١٩٢٠ ومضت في ذهن العامل النابغ عبد الرزاق محسوب فكرة صنع ساعة كبيرة مع هيكلها الخاص وسعى جهد طاقته حتى اتمها في عام ١٩٣٠ واقام لها برجا في جانب من معمله الكائن في الاعظمية ، وظلت اصداء دقاتها تتجاوب في الافاق معلنة الوقت بانتظام ،، وكانت جميع اجزائها قد قام بصنعها عمال عراقيون .

ولما اقيم المعرض الزراعي الصناعي في بغداد عام ١٩٣٢ كانت هذه الساعة العجيبة من ابرز المعروضات فنالت الجائزة الاولى بجدارة واستحقاق ، وما ابدع صورة السيد عبد الرزاق محسوب وهو بزيه البغدادي الاصيل يقف بجانب ساعته التي ابتكرها عقله الحصيف الخلاق! انها صورة فذة احسن المؤلف صنعا اذ نشرها في كتابه الجميل .

واما حبه للانسانية فقد تجلى في هذا التعبير الخلاب « حينما دخلت متحف العلوم البريطاني في لندن كانت اول ما وقع عليه نظري هو تمثال للعالم الايطالي العظيم (غاليلو) بالحجم الطبيعي ، ينتصب شامخا بلونه الوردي على الجانب الايسر من باب المتحف ، ويسعد كل منا حين يرى النبغاء قد تبوءوا مراكزهم اللائقة بهم دون الالتفات الى جنسياتهم ، وهكذا اشعرت حينما تطلعت الى تمثال العلامة الالمعي غاليلو وقد تبوأ مركزه الذي يستحقه »

وفي الفصل الاخير من الكتاب كتب بحثا طريفا عن (الساعة في الادب) الادب الذي احبه من الاعماق ، وتعلق به منذ الصغر ، وبذل له من ذات نفسه ، على الرغم مما يعانيه من حرمان في تيسير سبل الثقافة والتعلم ، حتى استطاع ان يصبح من ادبائنا المرموقين الذين درجوا على نمط جديد في استيعاب الموضوع وجمال الصياغة ، وروعة الاسلوب

ويقتضينا الواجب ان نشير هنا الى قوله الممتع الرائع في وصف الساعة حيث تتحسس في تعبيره النداوة وبساطة الالفاظ ، البساطة التي تستهوي القلوب ، وتجتذب اليها القاريء اذ قال : « لو تطلعنا الى الساعة الحديثة وامعنا النظر في اجزائها المختلفة مبتدئين بالغلاف الخارجي ، لرأينا شكلا هندسيا بديعا فهذه الارقام المنسقة على الوجه (الميناني) وهذه (العقارب) التي تسير خلال الارقام بدقة وانتظام والاطار المدور حولها ، كل هذه الالات تشكل منظرا هندسيا جميلا صالحا تطالعه العين بغير ملل ، على رغم ان هذا السير البطيء لعقاربها هو الذي يذيب الساعات والثواني من حياتنا بخطى سحرية »

ومما يذكر في هذا الصدد ان جميع النماذج الشعرية التي اختارها الاستاذ ناجي جواد تدلل على ماله من ذوق ممتاز، واحساس مرهف ونورد للقاريء على سبيل المثال لا الحصر بعضا منها ، فهذه قصيدة الشاعر احمد الصافي النجفي في الساعة اذ يقول :

والة تقطع الايام سائره   لا تبصر العين من تسيارها اثرا
كانها تبصر الاوقات راسمة   لها وما ملكت كفا ولا بصرا
ارى عقاربها اللاتي تدور بها   عقاربا كل حين يلدغ العمرا
تهاجم العمر دوما وهي ساكنة   والعمر يركض منها خائفا حذرا
نعدها من جماد وهي مدركة   من وقتنا مااختفى عنا وما ظهرا
تطوي السنين وتجري وهي ثابتة   وتمنح الناس لكن تفه عبرا
كأن دقاتها في كل اونة   دقات قلب خفوق بالنوى صهرا
كأن في جوفها قلب الزمان غدا   يدق متستجعلا من نفسه ضجرا
يبغي الفرار من الساعات عقربها   خوفا على العمر ممن تتلف العمرا

والشاعر الخالد معروف الرصافي ابدع هو الاخر في وصف الساعة ايما ابداع ، واجاد في الموضوع والمعنى بكلماته البسيطة والبليغة ، حيث يتلوها القاريء وكانما يسمع دقات قلبها الخفاق ، ويرى عقاربها تسير ببطء لادغة جسم الزمن ، فيولى الادبار لائذا باذيال الفرار .

وخرساء لم ينطق بحرف لسانها   سوى صوت عرق نابض يحشاها
حكت لهجة التمتام لفظا ولم تكن   لتفصح الا بالزمان لغاها .
لها ضربان في الحشا قد حكت به   فؤادا تغشاها الهوى وحكاها
جرت حركات الدهر في ضربانها   وبانت مواقيت الورى بعماها
على وجهها خطت علائم تهتدي   بها الناس في اوقاتها لمداها
مشت بين انات الزمان تقيسه   وما هو الا مشيها وخطاها
يدور عليها عقرب دور حائر   بيتها وغمت في الظلام صواها
تريك مكان الشمس في دورانها   اذا حجبت عنك الغيوم ضياها

وعندما تفضل السيد ناجي جواد فقدم ساعة ثمينة كهدية للشاعر احمد الصافي النجفي اعترافا منه بمواهبه الوهابة قال في وصف الساعة

يا ساعة اتعبها النظام   عليك كل راحة حرام
تجرين لايوقفك الزحام   مسرعة كأنك الحمام
هذى الايام لك والايام   تفنيها كأنها اخصام
النوم من اعمارنا انصرام   الا تنامين كما ننام
اسقيك لو تسكرك المدام   فتسكر الشهور والاعوام
وتهجعون ان غفا الانام   وترقد الخمر ويغفو الجام
والليل والنهار ان تناموا   مما لكم في نومكم احلام
ونحن في احلامكم اوهام

ان كتاب قصة الوقت دليل دامغ على ان لمؤلفه امكانيات متنامية مؤهلة لان يحتل مكانه الائق بين الكتاب المجيدين ، ، وقد اخرج في حلة قشيبة من الطباعة الانيقة وزين بروائع الصور الجميلة ، مما يزيد في تقريب الفكرة المتوخاه الى ذهن القاريء ، بالاضافة الى تعابير الكتاب الانيقة ، واسلوبه السهل الممتع ، ولغته الصافية الشفافة،

ويتصور القاريء ، كم هو عظيم ورائع لو تصدى كل صاحب مهنة حرة من ذوي القابليات فألف كتابا عن مهنته ، على غرار ما فعله الاستاذ ناجي فليس من شك ان المكتبة العربية ستثرى وتغنى بهذا اللون الجديد من الذخائر الفكرية الخالدة .

بغداد   خضر عباس الصالحي



● كيف غالبت الموت ـ عشر قصص من صميم الواقع في عشرة حوادث جوية ـ تاليف بشير العوف صاحب جريدة المنار بدمشق ـ ١٦٢ صفحة ـ منشورات مكتبة دار الفتح بدمشق ـ مطابع دار المنار بدمشق

● مقتطفات من تعاليم كنفوشيوس ـ اقتباس عيسى ميخائيل سابا ـ ٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة السنابل ببيروت ـ (لم يذكر أسم المطبعة) .

● باكستان ، تقدم مطرد في ظل العهد الجديد ـ ٤٨ صفحة ـ منشورات وزارة الاستعلامات والاذاعة لحكومة باكستان بكراتشي ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● انت والعلم ، من البرامج العلمية للتليفيزيون ـ تاليف لين بول مؤلف ومخرج البرامج العلمية في التليفيزيون بجامعة جونز هوبكنز ـ ترجمة وتقديم الدكتور محمد الشحات أستاذ بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة ـ الغلاف بريشة محمد امين السعودي ـ ٢٠٤ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في القاهرة ونيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مؤسسة طباعة الالوان المتحدة بالقاهرة .

● شيوخ الادب الحديث ـ تاليف حبيب الزحلاوي ـ ٢١٨ صفحة ـ مكتبة نهضة مصر بالفجالة (؟) ـ مطبعة الرسالة (؟)

● رصيف العذراء السوداء ـ قصة ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ الغلاف بريشة شموط اخوان ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسات في الاشتراكية ـ باقلام : ميشيل عفلق ومنيف الرزاز وجمال اتاسي ووهيب الغانم ومصطفى الحلاج والياس فرح وبشير داعوق وج.د.هـ. كول وا. جورجثيك وغيرهم ـ الغلاف بريشة شموط اخوان ـ ٢٨٨ صفحة ـ منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● ايثوبيا : في عهد الامبراطور هيله سلاسي الاول ـ تاليف عبد الرحمن محمود الحص المدير المسؤول لمجلة العالم العربي البيروتية وصاحب دار نشر الاداب للتاليف والطباعة ـ ٢٠٨ صفحة ـ منها ١٤٨ صفحة عن ايثوبيا و ٦٠ صفحة عن مشاهدات المؤلف في امارات الخليج العربي ـ مزين بالصور الفتوغرافية ـ منشورات دار نشر الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● قصص من هناك ـ ١٦ قصة عالية ـ ترجمة جان زكي سالمة ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو سمرا غانم او البطل اللبناني ـ تاليف ابراهيم ابو سمرا غانم ـ نقحه وعلق بعض حواشيه ووقف على طبعه في طبعة ثانية : لحد خاطر ـ ٢٤٧ صفحة ـ مطبعة الرهبانية اللبنانية المارونية ببيروت.

● ضريبة التركات والمواريث : شروح وتعليقات ونصوص قانونية ـ تاليف عبد الرزاق الجزار ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ دار مطبعة التمدن ببغداد .

● قصة اللاعنف في جنوب افريقية ـ تاليف المهاتما غاندي ـ ترجمة منير البعلبكي ـ ٤٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● صراع مع الباطل ـ مجموعة مقالات ـ تاليف محمد احمد باشميل ـ ٢٤٠ ـ صفحة حجم كبير ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● عمال البحر ـ قصة ـ تاليف فيكتور هيغو ـ ترجمة رمضان لاوند ـ ٤٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● الوجه الاخر ـ اقاصيص ـ تاليف فؤاد التكرلي ـ الغلاف بريشة أ. كاكافيان ـ ١٧٨ صفحة ـ منشورات الثقافة الجديدة ببغداد ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة الوفاء ببغداد .

● الاحساس بالجمال : تخطيط لنظرية في علم الجمال ـ تاليف جورج سانتيانا ـ ترجمة الدكتور محمد مصطفى بدوي ـ مراجعة وتصدير الدكتور زكي نجيب محمود ـ لوحة الغلاف بريشة المهندس رفيق البابلي ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في القاهرة ونيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● سهرة بوكر ـ ١٧ مسرحية فكاهية من فصل واحد مختارة من المسرح العالمي الحديث ـ ترجمة سمير شيخاني ـ الخطوط بريشة عبد القادر شعبان ـ ٢١٢ صفحة ـ مزينة بالرسوم ـ منشورات دار السمير ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● .... وقصص اخرى ـ تاليف سميرة عزام ـ الغلاف من تصميم الاخوان شموط ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● زيارة الاربعين ـ تاليف صدر الدين شرف الدين ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار النهج فى صور لبنان ـ المطبعة التجارية فى بيروت .

● العروبة تكرم ذكرى العلامة خليل مردم بك ـ مجموعة ما قيل في حفلة تأبينه فى دمشق ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي للاقليم السوري ـ مطبعة الوزارة بدمشق .

● Hunters In A Narrow Street — Novel — by Jabra I. Jabra — 232 pages — Publisher : William Heinemann Ltd., London Melbourne Toronto — Printed in Great Britain by The Windmill Press Ltd.

● The Day Of Sacrifice — by Fereidoun Esfandiary — 242 pages — Publisher: William Heinemann Ltd., London Melbourne Toronto — Printed in Great Britain by Billing and Sons Ltd.

● Les Savants Polonais Et Leur Contribution A La Science Mondiale — par Marian Dobrowolski — traduit par Kazimiera Ordynska Bielawska — 204 pages — Editions «Polonia», à Varsovie — Printed in Poland.

● La Nouvelle Classique Polonaise — Nouvelles choisies par Zbigniew Zabicki — 256 pages — Editions «Polonia» à Varsovie — Printed in Poland.



مع الدكتور فؤاد افرام البستاني •

يتمتع الدكتور فؤاد افرام البستاني ، رئيس الجامعة اللبنانية في بيروت، بمكانة مشرفة في اوساط الحركة الفكرية المعاصرة. ولاعجب من ذلك ، فهو واحد من الذين توصلوا بعد جهد جهيد ان يقدموا مؤلفات ادبية حية مهدت السبيل امام طلاب المعرفة ، فغرفوا من بحورها ما غرفوا . كما انه اليوم يشرف على دائرة المعارف التي صدر منها حتى الان جزءان فقط ، وبعد ايام يصدر الجزء الثالث . وهذه الدائرة يحتاج اليها كل مثقف عربي نظرا للفائدة التي تجنى من ورائها ، وقد عمل الدكتور البستاني على ايصالها الينا بحلة جيدة ومزينة برسوم معبرة ، كما عمل على درس كل كلمة على حدة وبلورة معناها حتى يستطيع كل قاريء ان يتناولها .

وبمناسبة قرب صدور الجزء الثالث من دائرة المعارف ، اجتمعت الى الدكتور فؤاد افرام البستاني في مكتبه بالجامعة اللبنانية وطرحت اليه اسئلة حول الدائرة ، فتلطف واجاب عليها بهدوء وصراحة وهاانى انقلها الى قراء « الاديب » .

س ـ سمعنا بان المجلد الثالث من دائرة المعارف تحت الطبع . فمتى يظهر ؟ وما هي خصائصه المهمة .

ج ـ كان من الضروري ان يظهر هذا المجلد الثالث في اوائل السنة الحالية الا ان عملا كهذا يتعلق بعدد من الشخصيات لا يمكن ان يفرض عليهم التقييد بوقت محدود ، لا يحقق دائما ضمن الحدود الزمنية المعينة . ذلك ان المجلد من دائرة المعارف يتناول فوق الالفين من الدراسات والابحاث يسهم في تاليفها واعدادها نحو الخمسين من الاختصاصيين منتشرين في مختلف انحاء العالم . ومهما يكن من دقة العمل في توزيع المواد ، وملاحقة الكتاب ، فلا بد من ان يتأخر بعضهم عن الموعد المضروب . ويكفي الا يصل بحث واحد في موعده حتى يتاخر العمل بكامله . اذ ان الترتيب ابجدي ولا يجوز فيه التقديم والتاخير كما يكون في المجلات مثلا .

على ان المجلد الثالث تحت الطبع ، كما قلت . وأمل ان لا يتاخر ظهوره عن اواخر الشهر القادم .

س ـ وما هي موضوعات هذا المجلد .؟

ج ـ الدائرة كما حددها موءسسها المعلم بطرس البستاني هي «قاموس عام لكل فن ومطلب» . بيد ان المجلد الثالث اقرب الى الناحية التاريخية بذكر تراجم بعض الاعلام في الفلسفة والعلم والادب والفن ودراسة اثارهم . فهو يشمل كل الاعلام المبدؤة اسماؤهم بابن اعتبارا من ابن الخطيب .

س ـ قلتم ان مؤسس الدائرة هو المعلم بطرس البستاني . ورأيت فعلا في الصفحة الاولى من المجلد الاول اسمه واسماء ابنائه . فهل عملكم الحاضر تتمة للمشروع الاول وهل يجوز ان نتابع اليوم عملا علميا بديء بالقرن التاسع عشر ؟ وان كان هذا جديدا فما هو نصيب المعلم بطرس وابنائه في المشروع الحاضر ؟

ج ـ لقد اجبت عن مثل هذا السؤال الذي يتردد على كثير من الاذهان ، في المقدمة الشاملة للدائرة حيث قلت ما معناه :

لكل اجل كتاب .

كان القرن التاسع عشر في مستهل ربعه الاخير ، وابناء الضاد يتحفزون للسير على صعيد المعرفة الشاملة ، وقد برزت بين ظهرانيهم معالم النهضة الحديثة مدارس وجمعيات ، وجرائد ومجلات ، وتآليف مدرسية ومعاجم ، ومنشورات علمية وادبية شعرا ونثرا ، فكانت لهم «دائرة المعارف» الاولى ، يباشر اخراجها ، منذ السنة ١٨٧٦، المغفور له المعلم بطرس البستاني ، ويرعاها حتى وفاته المفاجئة في ١ ايار ١٨٨٣ مصدرا منها ٦ مجلدات ، متوقفا في اعداد المجلد السابع ، لدى مبحث «دائرة » ، وهو من غريب الاتفاق .

ويرث العبء ابنه سليم ، فيتولاه بما عرف به ابوه من شمول علم ودقة بحث . ويقف عليه ما كان له من الحياة ، وهي «قصيرة عريقة» ، على نحو ماكان يحبها . فيخرج المجلد السابع سنة ١٨٨٣، والثامن سنة ١٨٨٤، ثم ينتقل شابا الى جوار ابيه .

فيضطرب العمل مدة ، ويخشى على المشروع ، حتى يهيب العزم بولدي المعلم بطرس الباقيين : نجيب ونسيب ، فينهضان لاستئناف الجهد بمؤازرة نسيبهما سليمان البستاني الشهير ، معرب الالياذة . ولسرعان ما يستقبل المثقفون في بلاد العربية ومواطن الاستشراق بوافر الارتياح وبادي الرضي ، المجلد التاسع سنة ١٨٨٧، ثم العاشر سنة ١٨٩٨، والحادي عشر سنة ١٩٠٠ . بيد ان حظ التحقيق يقصر عن الامل بالكمال ، فيتوقف المشروع نهائيا مختتما بلفظة «عثمانية» ، تاركا في ذمة المستقبل اكثر من ثلث الموضوع .

وينقضي نصف قرن ، وهم اتمام الدائرة يراود المفكرين في بلاد العرب ، افرادا وجماعات . فلا تذكر المشروعات الادبية الكبرى الا اسف المخلصون لتخلف الخلف عن مجاراة السلف في هذا الجهد الجبار ، ولا تفصل مظاهر النهضة العصرية الا ود من يروقهم استكمال العدة العلمية في وطنهم لو امكنهم الاعتزاز بالدائرة كاملة شاملة ، اذ ان دائرة المعارف انما هي خلاصة ثقافة الامة ، ومقياس رقيها الفكري .

على ان تقدم العلم السريع المتتابع ، وتنوع فنونه المتفرعة المتمايزة

⊙

فؤاد افرام البستاني





مايو ١٩٦٠

١٨ – اتهم خروشوف ايزنهاور بالخداع والمراوغة وانه المسؤول عن نسف مؤتمر الاقطاب ، واعلن ان الاتحاد السوفياتي يعتزم توقيع معاهدة صلح منفردة مع المانيا الديمقراطية وهدد باتخاذ تدابير جديدة لاجبار الدول الغربية على الجلاء عن برلين الغربية .

– عقد اقطاب الغرب الثلاثة اجتماعا عالجوا فيه الموقف الخطير الناجم عن فشل مؤتمر الاقطاب .

– قدم الاتحاد السوفياتي طلبا الى مجلس الامن للاجتماع العاجل لاتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف الطيران الامريكي فوق الاراضي السوفياتية .

– قررت ثلاث دول افريقية اعضاء في الاسرة الفرنسية الاتحاد تحت اسم « اتحاد الجمهوريات الافريقية الوسطى » وكانت سابقا : تشاد والجمهورية الافريقية الوسطى والكونغو .

١٩ – غادر باريس خروشوف الى برلين ، وايزنهاور الى لشبونة وعاد ماكميلان الى لندن وقد كرر خروشوف في برلين هجومه على امريكا . وايزنهاور اعرب عن خيبة امله المريرة . اما ماكميلان فقد حذر من عواقب انهيار المؤتمر وقال علينا ان نستعد لمصاعب واخطار جديدة .

– اعلن البابا يوحنا الثالث والعشرين انه يشعر بالقلق لان الغيوم بدات تتلبد في الافق الدولي .

– قال همرشولد ان الحرب قد تشتعل من جراء حادث عفوي اذ ما من احد في العالم الحالي يشعل الحرب عن وعي . ووقوع الحادث العفوي محتمل جدا في هذا الوقت.

٢٠ – تعهد خروشوف في خطاب القاه في برلين الشرقية بان تبقى الحالة في برلين وفي المانيا على حالها حتى تتاح فرصة عقد مؤتمر للاقطاب بعد ستة او ثمانية اشهر لايجاد تسوية للمشكلة الالمانية كلها . واستأنف حملته على امريكا والقى عليها تبعة نسف المؤتمر .

– قال ماكميلان في مجلس العموم لاستطيع ان اخفي انه قد تطرأ عواقب وخيمة لفشل مؤتمر الاقطاب ولكن من الخطا ان نقطع الامل . ومن الصعب ان نقر موقف خروشوف فقد اعلن ايزنهاور وقف الرحلات الجوية فوق روسيا ما دام هو رئيسا وهذا اعظم تاكيد يمكن ان يعطيه رئيس بلد بصورة دستورية .

– وفي واشنطن قال ايزنهاور ان مجلس الحلف الاطلسي ايد بالاجماع موقف الدول الغربية الثلاث .

– جرت مظاهرات في طوكيو امام البرلمان احتجاجا على معاهدة الامن الاميركية اليابانية الجديدة .

– استقال عبد الله ابراهيم رئيس وزراء المغرب .

٢١ – اعلن في برلين الشرقية ان طائرة نقل تابعة لسلاح الجو الامريكي كانت ضلت طريقها بين كوبنهاغن وهامبورغ قد ارغمتها القوات السوفياتية على النزول في المانيا الشرقية واعتقلت ركابها .

– تظاهر طلاب الكلية الحربية التركية في شوارع انقره ضد حكومة مندريس .

٢٣ – انعقد مجلس الامن للنظر في الشكوى الروسية من امريكا بسبب حادث طائرة التجسس .

– اعلن محمد الخامس ملك المغرب انه سيتولى بنفسه رئاسة الحكومة وان الامير حسن ولي العهد سيكون نائبا للرئيس .

– صدر بلاغ مشترك عقب انتهاء المحادثات الرسمية التي دارت بين الجانبين التركي والهندي في انقره بمناسبة زيارة نهرو الى تركيا .

– اصدر حاكم انقرة العسكري امرا باغلاق جميع الكليات والجامعات في تركيا حتى الخريف المقبل .

٢٤ – وصل نهرو الى بيروت في زيارة خاصة تستغرق يومين .

٢٥ – وقع اشتباك بالايدي في البرلمان التركي بين نواب الحزب الديمقراطي الحاكم ونواب الحزب الجمهوري المعارض .

– تستمر المظاهرات منذ ستة ايام في طوكيو ضد رئيس الحكومة احتجاجا على المعاهدة وزيارة ايزنهاور المقبلة .

٢٦ – صوت مجلس الامن ضد المشروع السوفياتي بشجب التجسس الامريكي

– اعلن غروميكو بانه سيثير مسألة اتهام امريكا بالعدوان امام الجمعية العامة .

– وصل نهرو الى دمشق في زيارة للاقليم السوري .

– قامت مظاهرة عنيفة في طوكيو ضمت مئة الف شخص مطالبة بحل البرلمان قبل ان تصبح المعاهدة الامريكية اليابانية نافذة المفعول.

– قدر عدد قتلى الزلازل التي اصابت تشيلي منذ ستة ايام وامواج البحر التي تدفقت عليها والبراكين التي تفجرت بحوالي عشرة الاف . وقد الحقت اضطرابات البحر الناتجة عن الزلازل اضرار كبيرة في اليابان واوستراليا ونيوزيلندا . ولا تزال الزلازل مستمرة وقد تغيرت خريطة جنوب التشيلي.

٢٧ – وقع انقلاب عسكري في تركيا بزعامة الجنرال جمال غورسال استولى الجيش على مقاليد الحكم واعتقل جلال بايار رئيس الجمهورية وعدنان مندريس وسائر رجال الدولة .

٢٨ – تسلم الجنرال غورسال الرئاستين في تركيا وشكل وزارة لاحزبية معظمها من العسكريين . واذاع ان دستورا جديدا سيتم اعداده في يوليو المقبل .

– اعلن خروشوف ان الصين الشعبية يجب ان تشترك باي مؤتمر اقطاب يعقد في المستقبل .

٣٠ – غادر الدكتور سنغمان ري رئيس جمهورية كوريا السابق سيول الى هاواي ترافقه قرينته .

– انتحر نامق جديك وزير الداخلية في الحكومة التركية السابقة .

– اعلن المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع السوفياتي انه امر القوات الصاروخية بضرب كل قاعدة تنطلق منها طائرة اجنبية وتخرق الاجواء السوفياتية .

٣١ – تعهد هيرتر بان تؤيد الولايات المتحدة تأييدا تاما منظمة حلف جنوب شرق آسيا في سعيها لاشاعة السلام والاستقرار في الشرق الاقصى .

– اقر مجلس الامن انضمام دولة توغو الافريقية الى الامم المتحدة .

يونيو ١٩٦٠

١ – استقال النواب الاشتراكيون من مجلس النواب الياباني في محاولة لخلع رئيس الوزراء وتجميد ابرام معاهدة الامن الاميركية اليابانية

٢ – تقدم خروشوف باقتراحات جديدة لنزع السلاح الى جميع دول الشرق والغرب

– اعلن وزير الدفاع الاميركي توماس غيتس ان القوات الاميركية تقوم بتمارين حول اوامر الاستنفار.

٣ – اربع دول افريقية في الاسرة الفرنسية هي شاطيء العاج وداهومي ونيجر وفولتا العليا طالبت ديغول منحها استقلالها الكامل

٤ – هاجم خروشوف ايزنهاور وقال ان رئاسته تشكل فترة مظلمة في تاريخ اميركا والعالم وانه اذا اتى ايزنهاور الى الاتحاد السوفياتي بعد مدة ولايته فانه سيعهد اليه منصب مدير دار الاولاد .

٥ – اتهم هيرتر خروشوف بمحاولة تحقير مستويات العلاقات الدولية عن طريق توجيه كلمات شخصية نابية الى ايزنهاور . وقال ان خروشوف يسعى في محاولته التنصل من مسؤولية انهيار المؤتمر .

٦ – نوه نهرو بخطورة الحالة الدولية وقال ان اقل حادث قد يوءدي الى اشعال الحرب .

٧ – وصل عبد الناصر الى اثينا في زيارة رسمية لليونان .

– اعلن في واشنطن ولندن نبأ الاتفاقية التي تزود بموجبها اميركا بريطانيا بصواريخ سكايبولت .

– وصل بورقيبة الى ايطاليا في زيارة خاصة .

٨ – تزداد الحالة في اليابان خطورة . اتخذت منظمات الطلاب ونقابات العمال قرارا بمنع زيارة ايزنهاور لليابان بالقوة ..

٩ – طلبت حكومة الارجنتين الى اسرائيل ان تعيد ادولف ايخمان الزعيم النازي السابق الذي اختطفته اسرائيل من اراضي الارجنتين من الان حتى نهاية الاسبوع والا رفعت القضية الى الامم المتحدة .

١٠ – اعلن نيكسون نائب الرئيس الاميركي ان العالم الحر مشتبك مع روسيا اثر مؤتمر الاقطاب في نزاع قد لا يحل خلال ٥٠ سنة . وانذر بان النزاع يمكن ان يتقرر مصيره بواسطة الحرب الا انه من الارجح ان يحل بالطرق السلمية .

– سجن المتظاهرون الصاخبون في طوكيو السكرتير الصحفي للبيت الابيض جيمس هاغرتي في سيارته ٨٠ دقيقة بعد وصوله الى المطار وقد نقل بالهليكوبتر على اثر عملية انقاذ قام بها احد الطيارين الاميركيين .

١١ – انطلق اكثر من ١٥٠ الف متظاهر في شوارع طوكيو يشجبون اميركا ورئيس الوزارة اليابانية نوبوسوكي كيشي ورحلة ايزنهاور لليابان .

– اقترح همرشولد اجراء محادثات دورية دولية على مستوى رفيع باشراف الامم المتحدة للمساعدة على ايجاد اقتصاد عالمي مستقر .

١٢ – غادر ايزنهاور واشنطن غير عابيء بالمظاهرات التي وصفها بانها موحى بها من العملاء ليبدأ رحلته الى الشرق الاقصى .

١٣ – وصل عبد الناصر الى جزيرة بريوني للاجتماع بالمارشال تيتو .

– اعلنت حكومة ارتورو فرونديزي ان ثورة صغيرة في غرب الارجنتين فشلت بعد ست ساعات من اعلانها .

– اصبحت لجنة مؤلفة من ٣٨ ضابطا السلطة السياسية العليا في تركيا بناء على دستور موقت وضعه مجلس الثورة العسكري.

١٤ – كرر ديغول دعوته الى زعماء الثورة الجزائرية للمجيء الى باريس والتفاوض على انهاء القتال بصورة شريفة مؤكدا انه متى اوقف القتال ستتاح للجزائريين فرصة تقرير مصيرهم وانه هو نفسه يضمن حرية الاستفتاء الذي سيجري لهذه الغاية .

– وصل ايزنهاور الى مانيلا عاصمة الفليبين فاستقبل استقبالا حماسيا حافلا .

– وصل فرونديزي رئيس جمهورية الارجنتين الى روما كمرحلة اولى في جولة يزور فيها اوروبا .

– افتتح هيلا سلاسي في البرلمان الاثيوبي الجديد مؤتمر الدول الافريقية المستقلة

١٥ – وافقت فرنسا على بيع ٤٠ طائرة نفاثة مقاتلة من طراز ميراج ٢ الى اسرائيل . اعلن النبأ في الوقت الذي يقوم فيه بن غوريون بزيارة رسمية لفرنسا .

– طلبت الارجنتين اجتماع مجلس الامن لبحث قضية اختطاف ايخمان .

– اعلنت اميركا وفرنسا في مؤتمر نزع السلاح بجنيف رفضهما للمقترحات السوفياتية الجديدة لخفض التسلح .

– قامت في طوكيو اضطرابات خطيرة وسقط ٤ قتلى و ٧٠٠ جريح في اشتباكات مع رجال الامن واعلنت الحكومة ان المظاهرات اليسارية ضد الاميركيين هي محاولة شيوعية لقلب نظام الحكم .

– في خطاب لايزنهاور في برلمان الفليبين قال ان الشيوعية هي الاستعمار اليوم . وان الغرب حرر منذ الحرب ٣٢ بلدا واستعبد الشيوعيون ١٢ بلدا .

١٦ – اعلن كيشي تأجيل زيارة ايزنهاور لليابان باسم المحافظة على سلامته . واعلن ايزنهاور في مانيلا انه عدل عن زيارة اليابان .

– تحولت المظاهرات في اليابان الى المطالبة باستقالة حكومة كيشي .

١٧ – اعلن بن يزيد وزير الانباء في حكومة الجزائر الموقتة ان الجزائريين يتابعون الكفاح للاستقلال الا انهم على استعداد لعقد الصلح على اساس ضمان حرية تقرير المصير .

– بدأت الصين الشعبية بقصف جزر كيموي بعشرات الاف القنابل استنكارا لزيارة ايزنهاور لجزيرة فورموزا .

– وصل ايزنهاور الى تايبيه فاستقبل استقبالا حماسيا وقد اكد ايزنهاور تعهد اميركا بالدفاع عن فورموزا حتى النهاية .

– ابرمت معاهدة الامن اليابانية مع اميركا بصورة آلية بعد منتصف الليل بينما تستمر المظاهرات الصاخبة .

١٩ – وصل خروشوف الى بوخارست ليرأس موءتمر اقطاب الكتلة الشرقية الذي سيفتتح غدا.

– انشق جناح حزب كيشي – الحزب الحر الديمقراطي الياباني – وقدم طلبا الى كيشي ليستقيل فورا قبل تبادل التصديق على التحالف العسكري مع اميركا .

٢٠ – قررت الحكومة الجزائرية الموقتة ارسال وفد برئاسة رئيس الوزارة فرحات عباس لمقابلة الجنرال ديغول وسترسل احد الزعماء الى باريس لتنظيم تفاصيل الرحلة .

– احتفل اتحاد مالي برفع علم الاتحاد مكان العلم الفرنسي وبذلك تصبح السنغال والسودان « الفرنسي سابقا » اللتان تؤلفان اتحاد مالي اول بلدين من الاسرة الفرنسية يحققان الاستقلال التام .

– افتتح المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية في دمشق المؤتمر العام للاتحاد القومي في الاقليم السوري .

٢١ – تجددت المظاهرات والاضرابات في اليابان للتخلص من كيشي ومعاهدة الامن الاميركية

– كلف باتريس لومومبا تاليف اول حكومة في الكونغو البلجيكي الذي سيعلن استقلاله في ٣٠ يونيو الحالي .

٢٢ – بدأ مجلس الامن مناقشة شكوى الارجنتين على اسرائيل في قضية خطف ادولف ايخمان .

– اقر مجلس الشيوخ الاميركي معاهدة الامن الاميركية اليابانية .

٢٣ – قدم كيشي رئيس وزراء اليابان استقالته بعد مرور ساعات على تبادل وثائق ابرام معاهدة الامن المتبادل مع الاميركان .

– قرر مجلس الامن أن نقل ايخمان الى اسرائيل يعتبر خرقا لسيادة الارجنتين .وانهى مناقشته دون اتخاذ اي قرار معين حول اعادة ايخمان الى الارجنتين .

٢٤ – اصيب رئيس جمهورية فنزويلا رومولو بيتانكور بجروح اثناء محاولة لاغتياله كما اصيب وزير الدفاع وبعض الحاشية بجروح خطرة .

مطبعة الغريب

بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٤٦١٨٥